ابن القطان الفاسي

المحدث ومكانته العلمية

د. محمد الخرشافي

ملخص البحث

فإن الموضوع الذي اخترته تحت عنوان: "أبو الحسن ابن القطان محدثاً ومكانته العلمية".

وهذا ملخص للأفكار التي سيتضمنها :

- التعريف بابن القطان.
- النشأة العلمية.
- المكانة العلمية لابن القطان وتتجلى في الآتي:
  - وفرة شيوخ ابن القطان.
  - وفرة تلاميذ ابن القطان.
  - ثناء العلماء على ابن القطان.
  - مكانة مؤلفات ابن القطان ضمن الفنون والعلوم المؤلفة فيها.
  - ابن القطان والتصحيح والتضعيف.
  - ابن القطان وتعليل الأحاديث.
  - ابن القطان وكلامه في الرجال.
  - وفرة نقول أهل العلم عن ابن القطان وقبولهم لترجيحاته وما ذهب إليه.

والله أسأل أن ينجح مساعيكم، آمين.

الباحث في سطور

- **د. محمد الخرشاني**:
  - أستاذ التعليم العالي.
  - رئيس شعبة الدراسات الإسلامية (أزيد من عشر سنوات) بجامعة الحسن الثاني عين الشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء.

- **له أعمالاً علمية منها** :
  - غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة.
  - بغية النقاد النقلة، فيما أخل به كتاب البيان وأغفله، أو ألم به، فما تممه ولا كمله.
  - تأليف كتاب: "مناهج التخريج عند المحدثين".

مقدمة

سبب اختيار الموضوع:

ما كان لي أن أختار هذا الموضوع ولا البحث فيه؛ فابن القطان علم على رأسه نار، وشأن الكتابة في الأمور البديهية لا يعود بالفائدة على البحث العلمي الجاد، ولكن أن يُلْمَز هذا العلم بكونه أخذ الفن من المطالعة؛ فهذه كبيرة عند المحدثين؛ فإذا كانت الكبائر الموبقات سبع كما في الحديث الشريف[1]؛ فهذه إحدى الموبقتين في طلب العلم؛ ولذا نقل سليمان بن موسى[2] ما شاع عن أهل

---

(1) الإشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات".

(2) هو سليمان بن موسى الإمام الكبير مفتي دمشق، القرشي ، الأموي، الأشدق، من صغار التابعين، (ت 119 هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (12/ 92)، سير أعلام النبلاء للذهبي، (5/ 433).

العلم ممن عاصرهم أنهم كانوا يقولون: "لا تقرؤا القرآن على المُصحفيين، ولا تحملوا العلم عن الصَّحَفِيّين"[1].

والصَّحَفِيُّ هو من أخذ علمه عن الكتب ولم يلق شيوخاً، فعلمه كله عرضةً للنقض؛ لأن رواية الحديث والتمكن من علومه لا يكون إلا بطلب العلم والجلوس إلى المشايخ والأخذ عنهم، وبالتالي التخرج على أيديهم، فالعالم الذي لا شيخ له علمه في مهب الرياح لا يثبت وليس له دليل ولا أزمة.

هذه واحدة، والثانية مَن صاحب هذه اللمز والغمز؟

فلو صدرت هذه التهمة من ناقد من مطلق نفاذ الحديث الشريف، لكان الأمر هيناً ؛ لأن الرد عليه بكونه جهل قدر هذا العالم، فحكم عليه بهذا الحكم المجانف للصواب وكفي الله المؤمنين القتال؛ لكن أن تصدر ممن له قدم راسخ في النقد، من مؤرخ الإسلام، الناقد الكبير والعالِم النحرير، والحافظ المتقن، من البصير بأحوال الرجال شمس الدين أبي عبد الله الذهبي؟ فهذه يجب الوقوف عندها وقفات ووقفات لأنه الذهبي وما أدراك ما الذهبي؛ فالذهب أنفس المعادن، وهذا المنسوب له أنفس نفدة النقاد؛ وأحكامه تسقط الرجال من عل، أو ترفعهم إلى القمم الشامخة؟.

هذا هو الإشكال وهذه المادة في هذه الوريقات تحاول أن تجيب عنه، عسى أن يُهتدى لكلمة حق في شخص عَلَم من أعلام الغرب الإسلامي ترك بصمات واضحة المعالم في علم الحديث ونقد الرجال، وفي التصحيح والتضعيف، وفي فقه الحديث...

---

[1] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي – الرامهر مزي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب (ص 211) .

تمهيد تاريخي:

وكان أمراء الدولة المرابطية ذوي عناية خاصة بالفقه والفقهاء؛ ومن ثم ازدهرت الحركة الفقهية في عهدهم، وإذا كان من تكريم لغير الفقهاء فإنه يأتي تبعاً للعناية بأهل العلم عامة لما تستدعي عظمة الدولة وصيتها من وجود علماء مبرَّزِين في سائر فروع علوم الشريعة.

وبسقوط الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية تغيرت الوجهة إلى العناية بالكتاب والسنة، وتراجعت العلوم المتصلة بالفروع، وبرزت الحاجة إلى الاجتهاد واستنهاض الهمم، وترك التقليد؛ فأسست المكتبات العامة والخاصة وجُلِبت لها الكتب وعُقدت المجالس العلمية ونشطت الحلقات المتصلة بالعلم والعلماء تحصيلاً ودراسة وتلقيناً.

في هذه البيئة العلمية المزدهرة وُلد ابن القطان؛ فنهل من ينابيع التغيير المتسمة بالاجتهاد والميل إلى الدليل من الكتاب والسنة، وإذا كانت الساحة العلمية متنوعة المشارب والتخصصات، فإن رأس هذه المشارب الحديث وعلومه من مصطلح ونقد للرجال ومعرفة للعلل وتصحيح وتضعيف..

التعريف بابن القطان:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة، الحميري، الكتامي، الفاسي المولد والمنشأ، نزيل مراكش، اشتهر بابن القطان الفاسي[1].

ومجمل من عُني بترجمة ابن القطان كابن الأبار، وابن القاضي[2]، وأحمد بابا، يذكر أن أصله من قرطبة بالأندلس.

---

[1] الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 165).

[2] جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد بن القاضي (2/ 470) ترجمة 519 .

وقال عصريه الحافظ جمال الدين ابن مسدي (ت 663 هـ)[1]: (قصري[2] الأصل، مراكشي الدار).

وهذه النسبة صحيحة إلى قصر كتامة، وهو القصر الذي اشتهر بقصر عبد الكريم.

وعلى هذا الاعتبار يكون بعض أجداده الأوائل نزحوا من الأندلس إلى كتامة، ومنها انتقلوا إلى فاس فاستوطنوها؛ حيث قُدِّر لأبي الحسن أن يُولد بها وينشأ بها ويأخذ العلم عن علمائها.

وكانت ولادة ابن القطان يوم عيد الأضحى من سنة اثنتين وستين وخمس مائة من الهجرة، وبفاس درس مراحله الأولى، وإذا كانت المصادر شحيحة عن تفاصيل النشأة العلمية الأولى له، فملامح النبوغ تعكس قدراً من هذه المرحلة، كما أن مصنفاته هي الأخرى تُلقي بظلالها على هذا الماضي الزاهر لابن القطان.

مكانة ابن القطان العلمية عند علماء الحديث:

يمكن الاستدلال على المكانة العلمية التي كانت لأبي الحسن بن القطان الفاسي بعدة أشياء؛ وهذه بعضها:

- وفرة الشيوخ وكثرة التلاميذ.

---

(1) هو : محمد بن يوسف بن موسى مُسدي المهَلَّبِي، من أهل غرناطة، الفقيه الإمام البارع، العلامة الأوحد، الحافظ الناقد الخطيب، البليغ الأديب : جمال الدين أبو المكارم، سمع بجيان وبغرناطة وغيرها وبمدينة فاس عن أبي البقاء: يعيش بن العديم وأبي محمد بن زيدان، أخذ بالمشرق عن جعفر الهمذاني وغيره والتزم المجاورة بالحرم الشريف المكي وأفتى به، كما ألف"...

- وكان يميل إلى الأخذ بالحديث ... توفي ابن المسدي بمكة المشرفة سنة ثلاث وستين وستمائة .

- تاريخ الإسلام للذهبي (15/ 91) ، الديباج لابن فرحون (2/ 333) ترجمة 152.

(2) قلت : ولا يلتف إلى ما ورد في تذكرة الحفاظ (4/ 1407) : (مصري الأصل) فهذا تحريف لا شك فيه؛ لأن الذهبي نقل عن جمال الدين ابن مسدي في "سير أعلام النبلاء" (22/ 306)، أنه (قصري الأصل) ، فدل على أنه وقع التحريف في "تذكرة الحفاظ" من أحد النساخ لها.

- المكانة التي حظي بها لدى البلاط الموحدي، حيث عين رئيساً للطلبة، وهو أعلى منصب علمي في الدولة الموحدية.
- المصنفات القيمة التي صنفها في مختلف العلوم الإسلامية.
- كثرة النقول عنه في أمهات كتب الحديث لكبار المحدثين وحفاظهم من الذين جاؤوا بعده.
- الأخذ بأحكامه واعتمادها من طرف الحفاظ المحدثين .
- مساهمته في علم العلل، وهو علم لا يلجه إلا كبار نقاد الحديث.
- إسهامه في علم الرجال تعديلاً وتجريحاً.
- إسهامه في التصحيح والتحسين والتضعيف، وقبول كثير من أحكامه في ذلك.
- ثناء العلماء عليه.

وسأذكر بعضاً من ذلك:

النشأة العلمية:

تنقسم النشأة العلمية لابن القطان إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى بفاس، وهي مرحلة التحصيل الأولى على علماء فاس.

المرحلة الثانية، وكانت بعد أن انتقل إلى مراكش؛ فأخذ عن علمائها، ثم لمع فيها نجمه ، فقربه الخليفة من مجلسه وولاه مجموعة من الولايات، حتى صار ذا حظوة متميزة ...

شيوخ ابن القطان:

اعتنت الدولة الموحدية بالمغرب بالعلم وأهله فنشطت المدن وازدهرت بالعلماء وطلبة العلم، وخصصت الجرايات والنفقات للعماء وطلبة العلم على حد سواء، وانتشرت حلقات التدريس ، وكان من هذه المدن المعتنى بها: فاس ومراكش وسبتة وسجلماسة...

وكان مولد أبي الحسن بن القطان في مدينة فاس، وهي آنذاك قبلة العلماء، مساجدها ملآى بالحلقات العلمية، في سائر العلوم والفنون، فتمكن ابن القطان من الأخذ على شيوخ جلة في الحديث وعلومه والقرآن والقراءات، والفقه وأصوله، وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة، ومن شعر وأدب ولغة...

وجدير بالذكر أن طائفة من شيوخ ابن القطان من أهل فاس، وآخرين من مراكش، وقسم آخر من الوافدين من الأندلس، أو من أقطار أخرى عن طريق المكاتبة بالإجازة.

وقد جمع تراجم هؤلاء الشيوخ في "برنامج" له قال عنه ابن القاضي: "وجمع برنامجاً مفيداً في مشيخته"[1]، ونقل ابن عبد الملك من هذا "البرنامج" الذي وقف عليه؛ تفصيل شيوخ السماع من شيوخ الإجازة حيث ختم قائمة شيوخ السماع بقوله : "هؤلاء لقيهم وأكثر عنهم" ثم بدأ سرد أسماء المجيزين بقوله: "وكتب إليه مجيزاً"[2].

وهذا ذكر لطائفة من شيوخه في الدراية والرواية أو الإجازة:

1) أبو جعفر بن يحيى:

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى، الحميري، ويعرف بابن الوزغي، حلاه الذهبي بقوله: "خطيب قرطبة وعالمها"[3].

شيخ في القراءات، له إلمام واسع بالعربية والآداب واللغات، توفي في صفر سنة عشر وست مائة، (ت 610 هـ) عن ثمان وستين سنة[4].

---

(1) جدوة الاقتباس (ص 299) .

(2) الذيل والتكملة .

(3) سير أعلام النبلاء (22/ 27) .

(4) الذيل والتكملة، السفر 8 (1/ 165)، التكملة للمنذري (2/ 290)..، سير أعلام النبلاء (22/ 27) ، جذوة الاقتباس لابن القاضي (2/ 471) .

قال الذهب في "تاريخ الإسلام": سمع أبو الحسن بن القطان من أبي جعفر بن يحيى[1].

2) أبو جعفر بن مضاء :

وهو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي، القاضي (513 – 592) وصفه ابن فرحون بقوله: (وكان مقرئاً مجوداً، محدثاً مكثراً، قديم السماع، واسع الرواية عاليها، ضابطاً لما يحدث به... أجاز خلقا لا يحصون؛ منهم: أبو جعفر بن مضاء[2].

من مصنفاته "المشرق" في تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان[3].

ذكره في شيوخ ابن القطان ابن عبد الملك المراكشي[4].

3) أبو جعفر[5] بن عميرة الشهيد:

هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، من أهل مرسية، كان حسن الخط، صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، جلداً على الوراقة، محترفاً بها، تأثل منها مالاً كثيراً، وكتب بخطه علماً كثيراً، زار سبتة ومراكش وبجاية والأسكندرية[6].

روى عنه جلة من الحفاظ الكبار من المشارقة والأندلسيين.

له مصنفات لكن لم يبق منها إلا: "بغية الملتمس في تاريخ الأندلس" – مطبوع – استوفى فيه ما كتبه الحميدي (في جذوة المقتبس) إلى حدود سنة 450هـ وزاد عليه إلى أيامه.

---

(1) تاريخ الإسلام (13/ 866)، الترجمة : 471.

(2) فتح المغيث (2/ 240) (بتحقيق الشيخ علي حسين علي) ط : دار الإمام الطبري .

(3) الذيل والتكملة، السفر 8 (1/ 165) ، التكملة للمنذري (2/ 290) .. الديباج المذهب (1/ 208) .

(4) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165) .

(5) وكناه الذهبي في تاريخ الإسلام (12/ 1163) : (أبو العباس).

(6) الأعلام للزركلي (1/ 268) .

أرخ الذهبي وفاته في سنة تسعة وتسعين وخمسمائة للهجرة (ت 599 هـ) [1].

ذكره في شيوخ ابن القطان ابنُ عبد الملك المراكشي[2].

4) أبو إسحاق السنهوري:

وهو إبراهيم بن خلف بن منصور الغساني، الدمشقي، وسنهور من ديار مصر، قال أبو الحسن بن القطان: قدم علينا تونس سنة اثنتين وست مائة واستجزته لابني حسن، فأجازه وإياي... ثم ذكر ابن القطان ما ظهر عليه من تغير حاله، ولذا قال: "وقد تبرأت من عهدة جميعه بما أثبت من حاله"[3].

5) أبو بكر الفصيح :

أبو بكر المعروف بـ "الفصيح" وهو عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي، أصله من مكناسة الزيتون، ونشأ بمدينة فاس، وأخذ عن مشيختها، ثم رحل وسمع بمكة وبغداد ومصر، قال ابن القاضي: "وأجاز له أبو محمد العثماني، وأبو طاهر السلفي وتفقه بالخلافيات بالعراق وغيرها".

أخذ عنه أبو الحسن بن القطان، وقال: أرانا شعره مجموعاً، توفي بمراكش سنة خمس وتسعين وخمس مائة (595 هـ) [4].

6) أبو الحسن الطليطلي:

هو علي بن أحمد بن علي الأنصاري، الطليطلي، أصله منها، روى عن أبي عبد الله بن مكي، وأبي جعفر البطروجي، وأبي الحسن عبد الرحيم بن قاسم الحجاري ، وأبي بكر بن فندلة، وأبي الحسن شريح بن محمد، وأبي بكر بن طاهر القيسي، وأخذ القرارات عن شريح وعبد الرحيم، وأجازه أبو بكر بن

---

(1) تاريخ الإسلام (12/ 1163) .

(2) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165).

(3) الذيل والتكملة، السفر 8 (1/ 165) ، الأعلام للمراكشي (1/ 169) .

(4) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165) ، جدوة الاقتباس (2/ 455) ، ترجمة 497 .

العربي، ثم انتقل إلى فاس وأقام بها متصدراً للإقراء ، روى عنه ابن القطان، وأجاز له سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة[1].

وذكر الذهبي في "تاريخ الإسلام" أن أبا الحسن ابن القطان روى عن أبي الحسن الطليطلي هذا.

وأرخ وفاته سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة[2].

7) **أبو الحسن بن خروف**:

وهو علي بن محمد، الحضرمي، الإشبيلي (524 – 609 هـ) عالم بالعربية، إمام في النحو، له شرح على كتاب سيبويه، قال فيه الذهبي: (إنه جليل الفائدة) [3]، و "شرح الجمل للزجاجي[4]"[5].

ذكره ضمن شيوخ ابن القطان الفاسي ابن عبد الملك في الذيل والتكملة[6].

8) **أبو الحسن بن النقرات** :

هو علي بن موسى بن علي بن خلف السالمي، الجياني، نزيل مدينة فاس.

أخذ القراءات عن أبي عليّ بن عَريب، وأبي العباس بن الحُطَيْئة، وعبد الله بن محمد الفِهري. وحدث عن أبي عبد الله بن الرمامة، وأبي الحسن اللواتي، تصدر للإقراء بفاس، وخطب بجامع القرويين، قال ابن عبد الملك : "كان مقرئاً مجوداً محدثاً راوية".

---

(1) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165) ، جدوة الاقتباس (2/ 481) ترجمة 541 .

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (12/ 752) الترجمة رقم 66 .

(3) تاريخ الإسلام (13/ 220) ترجمة 464 .

(4) شرح جمل الزجاجي لابن خروف الإشبيلي، حققته : سلوى محمد عمر عرب، ونشرته جامعة أم القرى عام 1419 هـ.

(5) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165)، سير أعلام النبلاء (22/ 26) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (3/ 23)، بغية الوعاة (2/ 203)، الوفيات لابن قنفد (304) .

(6) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165) .

ذكره ابن عبد الملك – وابن القاضي – في شيوخ ابن القطان، قال: ولازمه[1]، وكان محدثاً راوية، إلا أنه غلب عليه الإقراء[2].

ذكر الذهبي وفاته فقال: توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (ت 593 هـ).

وقال الذهبي في "تاريخ الإسلام": "وأكثر عنه أبو الحسن بن القطان"[3].

9) أبو الحسن الإشبيلي:

هو نَجَبة بن يحيى بن خلف بن نجبة الرعيني، الإشبيلي، أخذ القراءات عن أبي الحسن شُرَيح، وأبي محمد شعيب اليابُريّ، وأبي جعفر بن عَيشون. وسمع منهم، ومن صهرِهِ أبي مروان عبد الملك بن الباجي، وأبي بكر بن العربي، وأبي بكر محمد بن عبد الغني بن فندلة، ومحمد بن أحمد بن طاهر القيسيّ، وأبي الحسن بن لُبّ. وأجاز له عتيق بن محمد، وتصدّر بإشبيلية للإقراء والنحو وتعليم العربية وكان إماماً في ذلك. وروى عنه أبو الربيع بن سالم الكلاعي، وجماعة.

ذكره ابن الأبار فأثنى عليه وقال: "وكان مقرئاً محققاً، ونحوياً حافظاً، حدَّث عنه جماعة من جِلّة شيوخنا"[4].

وانتقل إلى سبتة، فسمع الناس منه وأخذوا عنه القراءة وكذا بمراكش، وروى عنه أبو الحسن بن القطان، وكان وفاته سنة 591 هـ[5].

---

(1) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165) .

(2) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 412)، معرفة القراء الكبار (2/ 601) ، غاية النهاية لابن الجزري (1/ 259)، جذوة الاقتباس لابن القاضي (2/ 470) ، الوافي بالوفيات (7/ 82).

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (12/ 1003) الترجمة رقم 144 ، وكذلك ذكره ضمن شيوخ ابن القطان بن القاضي في جذوة الاقتباس (2/ 481) الترجمة 542 .

(4) التكملة لابن الأبار ، الترجمة (609).

(5) الذيل والتكملة، السفر 8 (1/ 165)، طبقات القراء لابن الجزري (2/ 334) .

10) **أبو الصبر الفهري**:

هو أيوب بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر الفهري، من أهل سبتة، تجول بالأندلس وأخذ عن شيوخها، ورحل إلى المشرق؛ فحج، قال ابن القاضي: "وكان محدثاً راوية شاعراً صوفياً جليلاً، من بقايا شيوخ الصوفية السنية، وأخذ عنه الناس كثيراً... وعلا صيته، وجل قدره، واشتهر بالعلم والعمل.."[1].

ونقل الذهبي في "تاريخ الإسلام" عن ابن الأبار أنه أخذ عنه: أبو محمد، وأبو سليمان ابنا حوط الله، وأبو الحسن بن القطان[2].

استشهد في كائنة العقاب سنة تسع وست مائة (ت 609 هـ) [3].

11) **أبو عبد الله بن البقار**:

وهو محمد بن إبراهيم بن حزب الله، فاسي، رحل إلى الأندلس، فسمع من كبار رجالها، روى عنه أبو الحسن بن القطان[4].

قال ابن الأبار: "وكان من أهل الفقه والحديث، متحققاً بالرواية والبحث عن رجالها، عاكفاً على التدريس حافظاً متقناً..." [5].

قال ابن عبد الملك: "وكان أحد الأئمة في علم الحديث والضبط وحسن التقييد والتنقير عن أحوال الرجال، علما في الزهد والفضل..." [6].

---

(1) جذوة الاقتباس لابن القاضي (1/ 168) ترجمة 121 .

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (13/ 212) : ترجمة 438 .

(3) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165)، جذوة الاقتباس للمكناسي (1/ 168)، الإعلام للمراكشي (3/ 71) .

(4) التكملة لابن الأبار : الترجمة 410 .

(5) التكملة (15/ 412) .

(6) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165)، وكذا (268) .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: "روى عنه أبو الحسن بن القطان الحافظ، وتفقه به، وأجاز له في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة"[1].

12) أبو عبد الله بن الفخار:

وهو محمد بن إبراهيم بن خلف الأندلسي، المالقي.

قال ابن الأبار: "سمع من أبي بكر بن العربي وأكثر عنه واختص به ومن أبي عبد الله بن الأحمر القرشي وأبي مروان بن بونة وأبي جعفر البطروجي وأبي عبد الله بن معمر وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي الحسن شريح بن محمد وأبي محمد بن عبد الغفور وأبي بكر بن طاهر وأبي محمد بن فائز العكي وغيرهم"[2].

وقال كذلك: "كان صدراً في حفاظ الحديث، مقدماً معروفاً يسرد المتون والأسانيد مع معرفة الرجال وحفظ للغريب... موصوفاً بالورع والفضل، مسلماً له في جلالة القدر ومتانة العدالة، استدعى إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه بها فتوفي هناك بشعبان سنة تسعين وخمس مائة"[3].

وقال الذهبي[4]: "سمع [أي ابن القطان] أبا عبد الله بن الفخار، فأكثر عنه"[5].

13) أبو عبد الله التجيبي:

وهو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان من أهل إشبيلية ، نزيل تلمسان، ويعرف بنسبه، إمام محدث مقرئ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الجلة، أمثال السلفي، انتفع به الناس أينما حل وارتحل.

---

(1) تاريخ الإسلام بتحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف (12/ 925) الترجمة رقم : 437 .

(2) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ، الترجمة (188) .

(3) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165)، تذكرة الحفاظ (4/ 1355)...

(4) تذكرة الحفاظ للذهبي (4/ 1407) .

(5) وانظر كذلك: جذوة الاقتباس لأحمد بن القاضي المكناسي (2/ 470) .

قال ابن الأبار: "كان عدلاً خيراً حافظاً للحديث، وغيره أضبط منه..." [1].

قال ابن عبد الملك: "أسمع بسبتة وفاس ومراكش وغيرها من البلدان... وصنف في الحديث ورجاله، والمواعظ والرقائق مؤلفات مفيدة"[2].

وقال الذهبي : "الحافظ الإمام.. محدث تلمسان، أخذ القراءات عن أبي أحمد بن معطي وأبي الحجاج الثغري وأبي عبد الله بن الفرس، وسمع منهم ومن أبي محمد بن عبيد الله، ورحل وحج وأطال الغيبة فأكثر عن السلفي والناس، وذكر أن السلفي... ورحل إليه المحدثون"[3].

وممن أخذ عن أبي عبد الله التجيبي أبو الحسن بن القطان كما ذكر ابن القاضي[4].

له مصنفات كثيرة؛ منها: معجم شيوخه، ومعجم شيوخ شيخه الحافظ أبي طاهر السلفي، وأربعون حديثاً في المواعظ، وأربعون في القضاء وفضله، وأربعون في الحب في الله، وأربعون في الصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

توفي بتلمسان في شهر جمادى الأول عام عشرة وست مائة، عن سبعين سنة[5].

14) أبو عبد الله الفندلاوي:

وهو: محمد بن علي بن عبد الكريم، المعروف بابن الكتاني، من أهل فاس.

---

(1) التكملة لابن الأبار الترجمة (271) ، وينظر كذلك: تذكرة الحفاظ (4/ 1395) .

(2) الذيل والتكملة (1/ 352) .

(3) تذكرة الحفاظ (4/ 1394) .

(4) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

(5) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 165)، تذكرة الحفاظ (4/ 1394) ... جذوة الاقتباس (1/ 276)، طبقات القراء (2/ 164) ، فهرس الفهارس (1/ 264) .

قال ابن عبد الملك: "وكان متحققاً بعلم الكلام متقدماً في معرفة أصول الفقه؛ ذا حظ صالح من علوم اللسان وقرض الشعر... وكان زاهداً ورعاً فاضلاً منقبضاً عن الملوك وأبناء الدنيا منقطعاً إلى العبادة والاجتهاد في العمال الصالحة والانتصاب لإفادة العلم والتدريس".

وقال عنه ابن بشكوال[1]: "كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه مدرساً لذلك حياته كلها وكان له حظ من الأدب وله رجز في أصول الفقه، أخذ عنه وسمع منه وروى عنه جماعة منهم أبو محمد الناميسي وأبو الحسن الشاري، وقال أخذت عنه جملة وافرة من إرشاد أبي المعالي وتلخيصه تفهماً وسمعت عليه رجزه".

وهو صاحب كتاب : "المستفاد في مناقب الصالحين والعباد من أهل مدينة فاس وما والاها من البلاد".

ذكره ضمن شيوخ ابن القطان بن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة[2].

وتوفي – رحمه الله – سنة سبع وتسعين وخمس مائة للهجرة[3].

15) **أبو العباس بن الصقيل**:

هو أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري.

قال ابن الأبار: "وكان محدثاً حافظاً، كامل العناية بالحديث ومن أهل المعرفة به ، ضابطاً متقناً، وافر الحظ من علم العربية، استدعاه يعقوب المنصور إلى حضرته بمراكش ليسمع بها عليه، فقدمها وأسمع بها، ثم عاد إلى تلمسان، أخذ عنه أبو الحسن بن القطان، وقال فيه: "عدل إمام في الحديث".

---

(1) التكملة لكتاب الصلة، أبو القاسم بن بشكوال (2/ 161) .

(2) الذيل والتكملة (1/ 165) .

(3) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 165)، وكذا (ص 331) ... جذوة الاقتباس (1/ 220)، سير أعلام النبلاء (23/ 276) .

وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام طائفة ممن رووا عن ابن الصقيل وعد من جملتهم أبا الحسن بن القطان[1].

توفي على الراجح سنة ثمان وتسعين وخمس مائة [2].

16) أبو عمر بن عات:

هو أحمد بن هارون بن أحمد أبو عمر بن عات النفري[3]، الشاطبي، كان مولده سنة اثنيتين وأربعين وخمس مائة للهجرة (542)، سمع بالأندلس على الحافظ أبي محمد: أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن هذيل، وأبي يوسف بن سعادة، وأجاز له أبو الخطاب بن واجب، وأبو القاسم بن بشكوال، ورحل إلى المشرق فلقي – وهو في طريقه – عبد الحق الإشبيلي بن الخراط، ولقي بالإسكندرية: أبا الطاهر السلفي، كما أخذ عن أبي القاسم بن العريف وخلائق بمصر وغيرها، ولقي من شيوخ مكة أبا محمد: عبد الدائم العسقلاني، وبدمشق بن عساكر أبي القاسم ، وبالموصل أبا الفرج: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، والكاتبة شهدة، ومن لا يحصى كثرة وقد ضمن ذكرهم وجملة صحيحة من مروياته: برنامجيه المسمى أحدهما: بـ "النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة" وهو كتاب جليل جامع، والآخر بـ "ريحانه التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس".

وروى عنه خلق كثير؛ منهم: أبو الحسن بن القطان، وأبو الحسن صاعد، وأبو الخطاب بن واجب، وأبو العباس بن سيد الناس ، وأبو محمد: عبد الرحمن بن برطلة، وأبو بكر بن مسدي.

وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والأدب بلا مدافعة، يسرد الأسانيد والمتون ظاهرا، فلا يخل بشيء منها، ثقة عدلاً مأموناً مرضياً، متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل؛ إذ لم يعن بذلك عنايته بغيره . وكان أهل شاطبة يفاخرون بأبوي عمر بن عبد البر وابن عات.

---

(1) تاريخ الإسلام (12/ 1131) ترجمة رقم 416.

(2) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 165) ، الأعلام، للمراكشي: (2/ 91).

(3) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (1/ 231).

وكان على سنن الصالحين في الانقباض ونزاهة الكلام ومتانة الدين، وأكل الجَشِبِ[1]، ولباس الخشن، ولزوم التقشف والزهد في الدنيا.

قال أبو عامر بن بدير: لازمته مدة من ستة أشهر؛ فلم أر أحفظ منه، وحضرت لسماع الموطأ والبخاري منه؛ فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضاً بلفظة كل يوم لا يتوقف في شيء من ذلك.

وقال ابن مسدي: كان يستظهر عدة كتب وحضر مجلس السلطان بمراكش فتذاكروا علم الكلام فانقطع عن المجلس وحفظ فيه نحواً من مائتي ورقة ثم رجع يذاكرهم.

وكان مهيباً وقوراً وكان ذا حظ وافر من الأدب قائلا يجيد الكلام نظماً ونثراً وله تصانيف، وفقد – رحمه الله – في وقعة العقاب[2] من ناحية جيان؛ فلم يوجد حياّ ولا ميتاً سنة تسع وستمائة.

17) **أبو القاسم بن بقي**:

هو أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن، من نسل بقي بن مخلد الأموي، من أهل قرطبة، ولي قضاء الجماعة بمراكش مضافاً إليه خطة المظالم والكتابة العليا، وحمدت سيرته، سمع من الناس وتنافسوا في الأخذ عنه، وكان أهلاً لذلك.

وهو آخر من حدث عن شريح بإجازة، وانفرد برواية الموطأ عن ابن عبد الحق، قراءة علي بن الطلاع سماعا.

قال أبو جعفر بن الزبير: "إنه كانت له إمام في اللغة العربية، وألف كتاباً في الآيات المتشابهات، قيل إنه من أحسن شيء في بابهن وكان لا يفارقه في سفر ولا في حضر".

---

(1) الجَشِب : الجشب من الطعام هو الخشن منه، وما لا أدم فيه .

(2) العقاب: موضع بالأندلس كان بين جيان وقلعة رباح ، وكان فيه الوقعة الكبرى التي هزم فيها المسلمون هزيمة شنيعة في منتصف صفر سنة 609 هـ.

وذكر صاحب "شذرات الذهب" : "وكان ظاهر المذهب مسند أهل المغرب وعالمهم ورئيسهم"[1].

ذكره في شيوخ ابن القطان عبد الملك في الذيل والتكملة[2].

توفي سنة خمس وعشرين وست مائة[3].

18) أبو القاسم بن ملجوم:

هو عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف، الفاسي ، اشتهر أمره بالعدوتين المغرب والأندلس، وكان متصل العناية بالرواية ولقاء المشايخ، بصيراً بالحديث، محافظاً على تقييده وضبطه، حدث وأخذ عنه الناس واستجازوه من أقاصي البلدان رغبة فيه لعلو روايته، كانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمس مائة، ونقل ابن الأبار عمن يثق بحفظه أنه توفي سنة ثلاث وست مائة[4].

ذكره في شيوخ ابن القطان عبد الملك في الذيل والتكملة[5].

19) أبو محمد التادلي:

هو عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي، من أهل مدينة فاس، روى عن أبي بحر الأسدي، دخل الأندلس في آخر الدولة اللمتونية ولقي أبا بكر بن العربي بإشبيلية ولم يرو عنه، ولقي ابن بشكوال فأجاز له.

---

(1) شذرات الذهب : ابن العماد (5/ 115) .

(2) الذيل والتكملة (1/ 166) .

(3) الذيل والتكملة، السفر الثامن (1/ 166)، المرقبة العليا للنباهي (ص 117) ...، العبر للذهبي (3/ 196)، الإعلام للمراكشي (135/2) .

(4) الذيل والتكملة ، السفر الثامن (1/ 166) ، جذوة الاقتباس (2/ 415)...، فهرس الفهارس للكتاني (2/ 581) ، شجرة النور الزكية لابن مخلوف (1/ 165).

(5) الذيل والتكملة (1/ 166) .

قال القاضي: "كان عالماً متفنناً، فقيهاً، أديباً، حسن الخط، جليل القدر... حدث عنه جماعة؛ منهم أبو عبد الله بن حوط، وأبو عبد الله الحضرمي، وأبو الحسن بن القطان..." [1].

توفي بمكناسة مغرباً عن وطنه سنة سبع وتسعين وخمس مائة عن سن عالية.

20) أبو يحيى بن صاف الأنصاري :

هو أبو بكر بن خلف الأنصاري، ويعرف بالمواق، كما يعرف بابن صاف، أصله من قرطبة وسكن مدينة فاس .

قال فيه ابن الأبار: "وكان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف فيه، ملازماً للتدريس، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك، وله تنبيهات ومقالات مفيدة؛ منها: "المكاييل والأوزان" وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض وما يعاضد، ولم يعن بالرواية".

كان أبو بكر حريصاً على العمل بالسنة النبوية، يجيب من دعاه، ويشيع الجنائز، ويأتي أنواع الطاعات والقربات.

حظي أبو بكر بخدمة السلطان بمراكش؛ فنال دنيا عريضة، وولي قضاء مدينة فاس، وتوفي بها، وهو يتولاه في آخر شوال من سنة تسع وتسعين وخمس مائة، ودفن بداره المعروفة – إلى الوقت الحاضر – به من درب ابن صافي في داخلها[2].

وقد نقل الذهبي في "تاريخ الإسلام" أن أبا الحسن بن القطان روى عن أبي بكر بن خلف هذا[1].

---

(1) جذوة الاقتباس (2/ 142) ترجمة 441 .

(2) انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال (1/ 180)، الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام (4/ 233) ، التشوف (ص 265 ، 335) . جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي (1/ 106) ترجمة 27، سلوة الأنفاس (1/ 224) . بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله ، أو ألم به فما تممه ولا أكمله لابن المواق، بتحقيق : د. محمد خرشافي ، قسم الدراسة (ص 165) ...

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وخمس مائة (599 هـ).

21) أبو الخطاب بن واجب:

هو أحمد بن محمد بن عمر القيسي من أهل بلنسية، وأحد رجالات الأندلس المشاهير، كان مولده سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، سمع من جده أبي حفص، وأكثر عن: ابن هُذيل، وأبي الحسن علي بن النعمة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم ابن الفَرَس، وأبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن أبي ليلى. وسمع بأشبونة من أبي مروان عبد الرحمن بن قَزْمان، وبقُرطبة من أبي القاسم بن بُشْكوال، وبإشبيلية من أبي الحسن علي بن أحمد الزهري، وإبراهيم بن خلف بن فرقد، ومحمد بن مُحرِز الأديب، وأكثر عن أبي محمد بن خَيْر. وأخذ عن أبي عبد الله بن زَرْقون كتاب التقصّي لابن عبد البر.. [2].

ومن شيوخه كذلك: عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو محمد الزهري الإشبيلي (ت: 613 هـ) [3]، والحسين بن محمد بن حسين بن علي بن عريب، الإمام أبو علي الأنصاري، الطَّرْطُوشيّ، المقرئ (ت: 563 هـ) [4]، وعاشر بن محمد بن عاشر بن خلف، أبو محمد الأنصاري الشاطبي (ت: 567 هـ) [5].

انتقل إلى مراكش فاستوطنها.

---

[1] تاريخ الإسلام (12/ 1189) الترجمة : 555.

[2] تاريخ الإسلام (44/ 180) .

[3] تاريخ الإسلام ت بشار (13/ 374) .

[4] تاريخ الإسلام ت بشار (12/ 295) .

[5] تاريخ الإسلام ، تحقيق بشار (12/ 362) .

قال عنه ابن الأبار: "حامل راية الرواية بشرق الأندلس، وآخر المحدثين المسندين"[1]. وقال عنه كذلك: "وكان أحد الحفاظ للحديث؛ يسرد المتون والأسانيد ظاهراً لا يخل بحفظ شيء منها، موصوفاً بالدراية والرواية؛ وله تآليف دالة على سعة حفظه"[2].

وكانت وفاته بمراكش سنة أربعة عشر وست مائة (614 هـ)[3].

كان لهذا الإمام عناية كبيرة بسماع الحديث وإسماعه، لا يتوانى في جمع كتب الحديث حتى تجمع لديه ما لم يتجمع لغيره، كان له معرفة تامة بهذا الشأن، يمتاز بصحة النقل والضبط التام، وقد أخذ عنه ابن القطان وانتفع به، وذكره في برنامجه الذي وضعه في شيوخه –كما نقله عنه ابن عبد المالك المراكشي–[4].

22) أبو عبد الله الصقلي:

هو محمد بن عبد الله بن طاهر، أبو عبد الله الشريف الصقلي، حافظ المغرب وراويته، اهتم بالحديث اهتماماً كاملاً، استدرك على عبد الحق الإشبيلي، رأى أن أبا محمد أغفلها، وأنه أولى بالذكر مما أورده الإشبيلي في الأحكام، دلّ ذلك على حسن نظره، وجودة اختياره[5].

قال ابن عبد الملك: "كان راوية للحديث حافظاً لمتونه، بصيراً بعلله عارفاً برجاله... مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، عني بهذا الشأن أتم العناية ودرسه ببلده"[6].

وقد ذكر ابن عبد الملك أن أبا الحسن بن القطان أخذ عن أبي عبد الله الصقلي[7].

---

(1) التكملة (1/ 107 – 276) .
(2) التكملة (1/ 101) .
(3) تاريخ الإسلام (13/ 393) .
(4) الذيل والتكملة (6/ 465) .
(5) الذيل والتكملة ، نقلاً عن الأعلام (4/ 165) .
(6) الذيل والتكملة ، نقلاً عن الأعلام (4/ 165) .
(7) الذيل والتكملة عن الأعلام : العباس بن إبراهيم التعارجي (4/ 165) .

23) أبو البقاء بن علي الأنصاري:

هو يعيش بن علي بن يعيش بن مسعود بن القديم الأنصاري، الأندلسي، من أهل شلب، قرأ القرآن ببلده على عقيل، وأبي عمران بن زكرياء، وغيرهما، وقرأ الحديث والآداب على أبي القاسم القنطري الشلبي، وأجاز له أبو الحكم عمر بن حجاج، وابن بشكوال، وأبو عبد الله بن زرقون، وابن عبيد الله، وغيرهم .

رحل عن شلب حين تغلب العدو عليها، فاستوطن مدينة مراكش ولقي بها أبا ميمون العبدري، ثم رحل عنها بعد مدة واستوطن مدينة فاس، ولقي بها القاضي أبا عبد الله بن الرمامة فاس، والفرضي علي بن الحسين اللواتي، وأبا عبد الله بن خليل القيسي، وابن عديس.

ألَّف في القراءات كتاباً سمّاه "الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة".

كما ألَّف كتاباً في فضائل الإمام مالك بن أنس، وآخر في القراءة سمّاه: "الشمس المنيرة في القراءات السبع".

وكان شيخاً مباركاً مقرئاً للقرآن مغموراً بنية صالحة في وقته.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: "حدّث عنه أبو الحسن بن القطان، وأبو العباس النّباتيّ ، وأبو بكر بن غلبون، وجماعة"[1].

وكانت وفاته سنة ست وعشرين وست مائة (626 هـ) [2].

---

[1] تاريخ الإسلام للذهبي (13/ 827) ترجمة 382 ، وينظر كذلك: جذوة الاقتباس (2/ 471) .

[2] جذوة الاقتباس (2/ 564) ترجمة رقم 658 ، شجرة النور الزكية (ص 179) ترجمة 580 .

24) **إبو إسحاق بن العشاب**:

هو إبراهيم بن إبراهيم الأنصاري نزيل مدينة فاس، المشهور بالإقراء، قال ابن الأبار: "حدث وأقرا وأخذ عنه، ذكر أبو الحسن بن القطان أنه أجازه جميع مروياته..." [1].

25) **أبو ذر الخُشَنِي**:

هو مصعب بن أبي بكر بن محمد بن مسعود الخُشَنِي[2].

قال ابن الأبار: "أخذ عنه جلة، وكان أبو محمد القرطبي ينكر سماعه من النميري، ولي خطابة إشبيلية، ثم قضاء جيان، ثم سكن فاس مدة، وبعد صيته"[3].

قال الذهبي فيه: "العلامة، اللغوي، إمام النحو[4]، أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الخشني، الأندلسي ، الجياني، النحوي، المعروف بابن أبي ركب"[5].

وقال صاحب الذخيرة السنية: "كان أحد الأئمة المتقدمين ضبطاً وتقييداً، وأحد المعتمد عليهم في علم اللغة والأدب، إماماً في العربية، عالماً بكتاب سيبويه... ولم يكن في وقته أتم وقاراً، ولا أحسن سمتاً وعملاً منه، ولا أضبط ولا أتقن تقييداً منه، في جميع علومه، حفظاً وعلماً.." [6].

---

(1) التكملة لابن الأبار (1/ 158) .

(2) الخُشَنِي : بضم الخاء وفتح الشين – هكذا ضبطه الحافظ ابن نقطة في كتابه: تكملة الإكمال (2/ 500) الترجمة رقم 2101 . الكتاب حققه د. عبد القيوم عبد رب النبي، ومحمد صالح عبد العزيز المراد ، وطبعته جامعة أم القرى بمكة المكرمة في مركز إحياء التراث الإسلامي .

(3) التكملة لابن الأبار : (2/ 701 – 702) .

(4) وذكر في كتاب المغرب في حلى المغرب (2/ 55): "أنه كان من عظماء نحاة الأندلس".

(5) سير أعلام النبلاء ، للذهبي (21/ 455) ترجمة 241 ، تاريخ الإسلام (13/ 104) ترجة 216 .

(6) الذخيرة السنية، تنسب لابن أبي زرع الفاسي (ص 42 – 43) .

ذكره ضمن شيوخ ابن القطان كل من الذهبي في "التذكرة"[1]، وتاريخ الإسلام[2]، وابن القاضي جذوة الاقتباس[3]، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية[4].

وكانت وفاته بفاس في شهر شوال من سنة أربع وست مائة (604 هـ) عن سبعين سنة[5].

26) أبو موسى القرموني:

هو عيسى بن محمد بن شعيب الغافقي الوراق، من أهل قرمونة، روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الفضل بن الأعلم، وأبي بكر الأبيض، وأبي العباس بن سيد الناس، وغيرهم، وكان فقيهاً عارفاً بالوثائق والعربية، كاتباً شاعراً، خرج من وطنه واستقر بمدينة فاس، وحدث بها ، فسمع منه: أبو الحسن بن القطان وكتب عنه كثيراً من شعره، كما حدث عنه أبو محمد بن عبد العزيز بن زيدون.

وكانت وفاته يوم الخميس الحادي والعشرين لجمادى الآخر سنة ست وثمانين وخمس مائة (586هـ) [6].

27) أبو الوليد الأنصاري:

هو زكريا بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن النصاري الخزرجي، من أهل قرطبة.

روى عن أبي الحسن بن وهب، وأبي القاسم بن ورد، وأبي بكر بن العربي، وأبي العباس بن العريف، وأبي بكر بن الخلوف، وآخرين.

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي (4/ 1407) .

(2) تاريخ الإسلام (13/ 866) ترجمة 471 .

(3) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

(4) شجرة النور الزكية لابن مخلوف (ص 171) ترجمة 581 .

(5) سير أعلام النبلاء (21/ 455) ، العبر للذهبي (3/ 138) ، شذرات الذهب لابن عماد (5/ 13)، معجم المؤلفين (12/ 292).

(6) وذكر ابن فرتون أنه توفي سنة سبع وثمانين وخمس مائة (587 هـ) . انظر: جذوة الاقتباس لابن القاضي (2/ 504) ترجمة رقة 577 .

خرج من وطنه في الفتنة، فانتقل من بلد إلى بلد حتى استقر به المطاف في مدينة فاس، وكان بها يعقد الشروط، كما كان ذا حظ في الفقه والأدب، روى عنه الناس؛ وممن روى عنه أبو الحسن بن القطان[1].

وكانت وفاته – رحمه الله – سنة تسعين وخمس مائة (590 هـ).

28) أبو محمد بن السكاك:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن سليمان المالكي، من أهل مدينة فاس، يعرف بابن السكاك، كانت له رحلة إلى الأندلس حيث دخل ألمرية؛ فلقي بها أبا القاسم بن الورد، فأخذ عنه، ورحل حاجاً فأدى الفريضة وسمع من أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، وكان شيخاً معمراً معدلاً، حدث عنه يعيش بن القديم وعلي ابن القطان، وكانت وفاته بفاس في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمس مائة وهو ابن ست وتسعين سنة أو نحوها[2].

ذكره في شيوخ ابن القطان ابن عبد الملك في الذيل والتكملة[3].

29) أبو موسى الغافقي:

هو عيسى بن محمد بن شعيب، أبو موسى الغافقي، الورَّاق.

روى عن أبي بكر ابن العربي، وأبي الفضل بن الأعلم، وجماعة.

وكان فقيهاً، كاتباً، شاعراً. استوطن فاس.

---

(1) جذوة الاقتباس لابن القاضي (1/ 199 ، 2/ 471) .

(2) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (2/ 306) ترجمة 833 ، تاريخ الإسلام، للذهبي، الترجمة رقم 305 ، جذوة الاقتباس لابن القاضي (2/ 421) ترجمة : 440.

(3) الذيل والتكملة (1/ 166) .

وتُوُفِّي في جمادى الآخره.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: "روى عنه أبو الحسن بن القطان"[1].

وكانت وفاته: سنة ست وثمانين وخمس مائة (586 هـ).

30) **أبو الحسن الأنصاري**:

هو: علي بن عتيق بن عيسى بن أحمد، أبو الحسن الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، أحد القراء.

أخذ القراءات عن: أبي القاسم ابن الفرس، وأبي جعفر البطروجي، وأبي العباس ابن زرقون، وحدث عن أبي محمد الرشاطي، وأبي عبد الله بن أبي إحدى عشرة، وأبي الحسن بن مغيث، وأبي القاسم بن بقي، وأبي بكر بن العربي، وجماعة، وحجّ، فسمع من أبي طاهر السِّلَفّي.

ذكره الأبار فقال: شيوخه ينيفون على مائه وخمسين شيخاً، وكان بصيراً بالقرارات والحديث، يشارك في علم الطب ونظم الشعر، وصنّف في الطب والأصول.

سمع منه: أبو الحسن بن المفضل الحافظ المقدسي، وشيوخنا: أبو عبد الله التجيبي، وأبو الربيع بن سالم، وأبو الحسن بن خيرة، وتوفي وله خمسٌ وسبعون سنة.

وقد نقل الذهبي في تاريخ الإسلام عن ابن الزبير قوله: "شارك [أي علي بن عتيق] في الكلام، والأصول ، والطب، وفي خطه أوهام، وفيه غفلة مُخِلة، حدّث عنه أبو الحسن ابن القطان، ويعيش بن القديم، وشيخنا أبو الحسن الغافقي لقيه بفاس، وكان آخر من حدَّث عنه"[2].

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وخمس مائة (598 هـ).

---

[1] تاريخ الإسلام للذهبي (12/ 820) الترجمة 224 .

[2] تاريخ الإسلام (12/ 1150) الترجمة 464 .

31) أبو محمد الحجري:

هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله بن سعيد بن محمد بن ذي النون، الرعيني، الحجري، الأندلسي، المري ، المالكي، الزاهد، نزيل سبتة، وهو رأس الصالحين، ورئيس الأثبات الصادقين، حالف عمره الورع، وسمع من العلم الكثير، وأسمع.

سَمِعَ (صحيح مسلم) من: أبي عبد الله بن زُغَبْيَة.

وكان ابن حبيش كثيراً ما يقول: لم تخرج المرية أفضل منه، مات في المحرم، سنة إحدى وتسعين وخمس مئة، وكانت جنازته مشهودة بسبتة.

جاز البحر إلى مدينة فاس، وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى سبتة، فاستوطنها وأقام بها يقرئ القرآن ويسمع الحديث، فرحل إليه الناس للسماع منه، والأخذ عنه لعلو إسناده ومتانة عدالته ، كان له ضبط وتقييد، وكان حسن الخط، بصيراً بصناعة الحديث ، استدعاه السلطان إلى حضرة مراكش ليسمع عليه، فتوجه إليها وأقام بها حيناً، ثم استأذن في العودة سبتة، فأذن له.

حلاه الذهبي في تاريخ الإسلام بقوله: "الشيخ الإمام، العلامة المعمر، المقرئ المجود، المحدث الحافظ، الحجة، شيخ الإسلام"[1].

ذكره في المجيزين لابن القطان بن الزبير وابن عبد الملك.

وكانت وفاته سنة واحد وتسعين وخمسمائة للهجرة (ت 591 هـ)

32) وأبو الحسن بن كوثر:

---

[1] التكملة (2/ 869) ، جذوة الاقتباس، سير أعلام النبلاء (21/ 251)، تاريخ الإسلام (12/ 960)، تذكرة الحفاظ (4/ 110) ، العبر في خبر من غبر (3/ 104)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي (4/ 307) .

هو: علي بن أحمد بن محمد، الغرناطي سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق، فسمع كثيراً قال ابن عبد الملك: "ثم عاد إلى بلده بعلم كثير ورواية واسعة، فتصدر للإقراء وإسماع الحديث، فأخذ الناس عنه، ورغبوا في السماع منه واستجيز من البلاد".

وقال ابن الزبير: وأخذ الناس عنه ورحلوا إليه في كتاب الترمذي لانفراده بالمغرب في وقته بسماعه على أبي الفتح الكروخي، وهو طريق جليل عال مسافة ورتبة ، وكان عنده من مصنف الترمذي نسخة بخط شيخه أبي الفتح المذكور وعليها خطه بسماعه منه.

ثم ذكر ابن الزبير من رحل إليه من حفاظ الأندلس وأعلامها ثم قال: وكل هؤلاء أخذوا عنه المصنف ولهجوا بروايته حتى قيد في ذلك الحافظ أبو محمد القرطبي تقييداً مشيداً بهذا الطريق وسنده واتصاله بالمتقنين في الرواية.

وكانت وفاته بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة (589 هـ).

وذكره في المجيزين لأبي الحسن بن القطان بن عبد الملك[1]، وابن الزبير.

33) **أبو عبد الله بن زرقون**:

هو: محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري الشيخ، الفقيه، الإمام، المعمَّر، المقرئ بقية السلف، الأنصاري، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي.

أجاز له عام اثنتين وخمس مائة أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني راوي (الموطأ)، وفيها ولد[2]، وتفرّد في وقته عنه.

وسمع بمراكش من: أبي عمران موسى بن أبي تليد، فتفرد عنه أيضاً.

---

[1] الذيل والتكملة (1/ 166).

[2] يعني في سنة 502 وكان مولده بشريش في ربيع الأول منها .

وسمع بسبتة من: القاضي عبد الله بن أحمد الوحيدي.

وسمع من: عبد المجيد بن عيذون، وخلف بن يوسف الأبرش، والقاضي عياض بن موسى، وحدَّث عنهم، وعن أبي بحر بن العاص، ومحمد بن شبرين، وأبي الحسن شريح بن محمد.

وقرأ (التقصي) على ابن تَلِيْد، وسمع (الموطأ) من عياض، ولازمه زماناً.

قال الأبار في (التكملة)[1]: "وَلِيَ قضاء سبتة، فشُكر، وكان من سروات الرجال، فقيهاً مبرزاً، وأديباً كاملاً، حسن البزة، لين الجانب، جمع بين (سنن أبي داود)، و (جامع الترمذي)، وارتحل الناس إليه لعلوه.

حدّث عنه: أبو العباس أحمد بن الرومية النباتي، وإبراهيم بن قسوم، وأبو سليمان بن حوط الله، ومحمد بن عبد النور، والحافظ ابن خلفون، وابن دِحية..".

من تآليفه: "كتاب الأنوار" جمع فيه بين المنقى والاستذكار، وجمع أيضاً بين سنن أبي داود والترمذي.

مات: في رجبٍ، سنة ست وثمانين وخمس مائة (ت 586 هـ)[2].

ذكره في المجيزين لابن القطان ابن عبد الملك وابن الزبير.

34) **أبو محمد بن الفرس**:

هو: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج، الخزرجي من أهل غرناطة، المعروف بابن الفرس.

---

[1] التكملة (2/ 541) .

[2] التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (2/ 63)، سير أعلام النبلاء (21/ 148) ، العبر للذهبي (3/ 92)، الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن (ص 295) ، معجم المؤلفين (10/ 25).

قال ابن الأبار: "سمع جده أبا القاسم وأباه أبا عبد الله وتفقه به في الحديث وكتب الأصول في الفقه والدين وسمع أبا الوليد بن بقوة وأبا محمد بن أيوب وأبا عامر بن شروية وأخذ عنه ببلنسية السير لابن إسحاق وأبا الوليد بن الدباغ وأبا الحسن بن هذيل وأخذ عنه القراءات وعن أبي بكر بن الخلوف وغيرهم، وأجاز له طائفة كبيرة... وكان له تحقق بالعلوم على تفاريقها وأخذ في كل فن منها وله تقدم في حفظ الفقه وبصر بالمسائل مع المشاركة في صناعة الحديث والعكوف عليها وتميز في أبناء عصره بالقيام على الرأي والشفوف عليهم"[1].

قال ابن الزبير: "انفرد آخر عمره بالرواية عن جماعة ممن تقدم، ورحل الناس إليه في ذلك".

وقال أبو الربيع بن سالم يقول: "سمعت أبا بكر بن الجد وناهيك به من شاهد في هذا الباب يقول غير مرة ما أعلم بالأندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس بعد أبي عبد الله بن زرقون"[2].

ولي ابن فرس القضاء بجزيرة شقر، ثم في وادي آش، ثم في جيان. وأخيراً بغرناطة، وجُعل إليه النظر في الحسبة والشرطة. له تآليف، منها "كتاب أحكام القرآن"[3] فرغ من تأليفه بمرسية سنة 553 هـ.

وتوفي في إلبيرة، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه بالأكف، وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة للهجرة (599 هـ)[4].

ذكر ابن القاضي في جذوة الاقتباس أن ابن القطان كتب إلى ابن الفرس يستجيزه فأجازه.

ومن شيوخه كذلك: أبو العباس بن سلمة اللورقي[5]، وأبو الحسن بن مومن[6].

---

(1) التكملة لكتاب الصلة (3/ 127) .

(2) التكملة لكتاب الصلة (3/ 128) .

(3) كتاب أحكام القرآن، ألفه ابن فرس وعمره خمسة وعشرون عاماً، صلة الصلة (ص 18) .

(4) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (3/ 127)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (ص 110) ،الأعلام، للزركلي (4/ 168).

(5) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

(6) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

ومن شيوخه بالإجازة: أبو محمد بن عبيد الله، وأبو خالد بن رفاعة، وأبو عبد الله بن عروس وأبو محمد بن فليح[1]. في آخرين.

تلاميذ ابن القطان:

اعتنت الدولة الموحدية بالحديث النبوي الشريف عناية فائقة، وكان ابن القطان إمام المحدثين في عصره، بدون منازع، وقد أهلته مكانته العلمية أن يحتل الصدارة عند أمراء هذه الدولة سواء برآسته مجلس طلبة الحضر، أو بمجالسه العلمية التي كان يعقدها بحضرة الخليفة ، أو بالرجوع إليه في مستعصيات الأمور وكبار المشاكل لحلها؛ كل هذا مكَّن لأبي الحسن شيوع الذكر، ورغبة الكبار والصغار في الأخذ عنه، حتى كثر تلاميذه؛ وفي ذلك يقول ابن الأبار: "درس وحدث"[2].

وذكر ابن عبد الملك طائفة من تلاميذه، ثم عقب بقوله: "في خلق لا يحصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة إلى إفريقيا وبالأندلس"[3].

وهذا ذكر لبعضهم:

1- محمد بن أبي يحيى ، أبو بكر بن خلف، ابن المواق، وهو من أشهر تلامذة ابن القطان، وكان من الملازمين له، حتى تخرج على يديه.

وابن المواق من أسرة علم عريقة؛ فقد أخذ كذلك عن جلة علماء عصره، منهم: والده أبو بكر بن خلف الأنصاري، الذي أخذ عنه علم الحديث والفقه واللغة والتفسير..، كما أخذ عن أبي الحسن بن قطرال (ت 651 هـ)، وأبي ذر بن أبي ركب، المعروف بأبي ذر الخشني (ت 604 هـ)، وأبي العباس

---

(1) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

(2) عن سير أعلام النبلاء (22/ 307) .

(3) الذيل والتكملة ، السفر 8 (1/ 166) .

أحمد النباتي (ت 637 هـ)، وأبي القاسم بن بقي (ت 625 هـ)، وأبي الربيع بن سالم الكلاعي (ت634 هـ)، وغير هؤلاء كثير.

ومن مصنفات ابن المواق "بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله"[1].

وهذا الكتاب يعتبر بحق تتويجاً لهذه السلسلة المباركة من كتب الأحكام لهذه المؤلفات الحديثية في الغرب الإسلامي.

وكان وفاة ابن المواق سنة اثنتين وأربعين وست مائة (642 هـ).

ذكره في مشيخة ابن القطان لابن المواق ابن عبد الملك في الذيل والتكملة[2]، والعباس بن إبراهيم في كتابه "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام"[3].

2- الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان، أبو محمد بن المؤلف، الذي تكنى باسمه، تفقه بأبيه، وأخذ كذاك من طائفة من الشيوخ منهم: الفقيه المحدث محمد ابن عيسى الأزدي، المعروف بابن المناصف (ت 620)، وكذا : أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الفاسي، الملقب بالأحدب (ت 626)، وروى عنه ابن عبد الملك المراكشي فأكثر، وهو مصنف كتاب نظم الجمان[4].

3- الحسين بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان، أبو محمد بن المؤلف أيضاً، قال ابن عبد الملك: "روى عنه ابناه أبو محمد حسن شيخنا، وأبو عبد الله حسين"[5].

---

(1) انظر قسم "الدراسة" لكتاب "بغية النقاد" : دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد الخرشافي (ص 161) .

(2) الذيل والتكملة (1/ 272) .

(3) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (4/ 232) .

(4) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 166) ، تقديم نظم الجمان، للدكتور محمود علي مكي (ص 26) .

(5) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 166) .

4- أبو علي بن محمد بن علي بن عمار، ابن أخت ابن القطان، ذكره ابن عبد الملك ضمن من روى عن أبي الحسن بن القطان[1].

5- أبو بكر ابن محرز، وهو : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري، (569 – 655) من أهل بلنسية، قرأ بالأندلس، ولقي بها أفاضل من أهل التحصيل، جمع بين الرواية وعلو المنصب وبعد الهمة، وفد حاضرة مراكش فلقي بها أبا الحسن ابن القطان وأخذ عنه، حلاه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه، الحافظ اللافظ، المحدث المتقن، اللغوي التاريخي، الأديب الكامل"[2].

6- أبو الحجاج بن لاهية، وهو يوسف بن موسى بن إبراهيم الهواري مهدوي، سكن مراكش، روى عن أبي الحسن بن القطان وجماعة، قال فيه ابن عبد الملك: "وكان ماهراً في علوم اللسان أدباً ولغةً ونحواً... شاعراً محسناً، كاتباً بليغاً، نبيل الأغراض في كل ما يحاول نظماً ونثراً، حسن الصوت بالقرآن والشعر يأخذ بمجامع القلوب متى تلا القرآن أو أنشد الشعر". توفي بمراكش سنة تسع وأربعين وست مائة[3].

7- أبو عبد الله بن حماد، وهو: محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد الصنهاجي، القلعي – قلعة بني حماد – تعلم القرآن وعلمه، وأخذ الحديث عن أبي الحسن بن القطان وجماعة، قال فيه ابن عبد الملك: "وكان أديباً بارع النظم والنثر، نزه النفس، حسن الخلق، ذا حظ صالح من الفقه وأصوله..." من مصنفاته : "الإعلام بفوائد الأحكام، لعبد الحق"، و "الدباجة في أخبار صنهاجة".

توفي بمراكز سنة تسع وعشرين وست مائة (629 هـ) [4].

---

(1) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 166) .

(2) عنوان الدراية ، لأبي العباس الغبريني (ص 283) .

(3) الذيل والتكملة ، س 8 (2/ 437) .

(4) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 323) .

8- أبو عبد الله الرندي، وهو: محمد بن أحمد بن محمد القيسي اشتهر بـ "المسلهم" – من رندة – سكن مراكش، روى عن خلق كثير، منهم: أبو الحسن ابن القطان، قال فيه ابن عبد الملك: "كان محدثاً مكثراً متسع الرواية... جماعاً للكتب وفوائد المشايخ.. ذاكراً للتواريخ، حسن المحاضرة"... ولإكثاره غمزه بعض أشياخنا، وتكلموا فيه، وكان شيخنا الناقد حسن بن علي بن القطان يصرح بتكذيبه وادعائه تحميل شيوخ ما ليس في روايتهم". ولكن ابن عبد الملك لم يرتض ذلك؛ لذا قال: "ولعله [يعني حمل ذلك] بالإجازة والله أعلم".

وتوفي بمراكش سنة ثلاث وخمسين وست مائة (653 هـ) [1].

9- محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي، يكنى أبا عبد الله – حفيد القاضي عياض المشهور – قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: "كان من عدول القضاة وجلة سراتهم، وأهل النزاهة فيهم، شديد التحري في الأحكام والاحتياط، صابراً على الضعيف فيهم والملهوف، حسن السمت، محباً في العلم وأهله، مقرباً لأصاغر الطلبة، ومكرماً لهم، ومعتنياً بهم. توفي بغرناطة سنة خمس وخمسين وست مائة[2].

ذكر ابن عبد الملك محمد بن عياض هذا وعد منهم أبا الحسن بن القطان[3].

10- أبو عبد الله بن الطراوة، وهو: محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبئي، مراكشي، مالقي، روى عن أبي جعفر بن عون الله الحصاري وابن القطان وآخرين. وكان حافظاً للتواريخ على تباين أنواعها، ذاكراً لها محاضراً بها، أديباً بارعاً كاتباً محسناً. توفي بسجلماسة سنة تسع وخمسين وست مائة، وشارف الثمانين[4].

---

(1) الذيل والتكملة (6/ 123) عدد 311 ، نقلاً عن الإعلام للمراكشي (5/ 364) ...

(2) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 342)...، صلة الصلة، لابن الزبير – بآخر الذيل والتكملة – (8/ 516) ... – الإحاطة، لابن الخطيب (2/ 226) .

(3) الذيل والتكملة (1/ 343) .

(4) الذيل والتكملة ، س 8 (1/ 264) .

11- ابن علي المدعو بالشريف، وهو : محمد بن علي بن يحيى أبو عبد الله، قاضي الجماعة المعروف بالشريف، شهرة لا نسباً، قال أبو حيان: كان في مراكش في زمن بن أبي الربيع يدرس كتاب سيبويه والفقه والحديث، يميل إلى الاجتهاد، وله مشاركة في الأصول والكلام والمنطق والحساب، ويغلب عليه البحث لا الحفظ، روى عن الحافظ أبي الحسن بن القطان وغيره، ومات بمراكش سنة اثنتين وثمانين وست مائة[1].

12- أبو بكر بن مسدي، وهو: محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي الأزدي، المهلبي، الأندلسي، الغرناطي، أحد من عني بهذا الشأن ، أخذ عن خلق كثير بالأندلس، صنف معجماً شيوخه، ذكر ابن مسدي بن القطان فأثنى عليه، وقال ابن مسدي: "عاقت الفتن المدلهمة عن لقائه[2]، وأجاز لي". قال الذهبي: "ورأيت بعض الجماعة يضعونه في الحديث، قتل غيلة بمكة سنة ثلاث وستين وست مائة[3].

وممن روى عن أبي الحسن ابن القطان كذلك:

13- أبو الحسن الشاري، وهو: علي بن محمد بن علي الغافقي السبتي (571 – 649) [4].

14- أبو مروان الباجي، وهو: محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز، الإشبيلي[5].

15- فاخر بن عمر بن فاخر العبدري، فاسي سكن إشبيلية يكنى أبا الفتوح[6].

16- عمر بن محمد بن أحمد القيسي مراكشي فاسي الأصل[7].

17- محمد بن عيسى بن مع النصر بن إبراهيم بن دوناس[8].

---

(1) الإعلام، للتعارجي (4/ 281) .

(2) سير أعلام النبلاء (22/ 306) .

(3) تذكرة الحفاظ (4/ 1448) .

(4) إفادة النصيح ، لابت رشيد (ص 105).. – الذيل والتكملة (8/ 197) ...

(5) إفادة النصيح (ص 96) .

(6) الذيل والتكملة (8/ 259) .

(7) الذيل والتكملة (8/ 235) .

(8) الذيل والتكملة (8/ 350) .

18- أبو عبد الله بن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر... القضاعي الأندلسي البلنسي[1].

19- ابن أبي عبد الله بن مروان[2].

20- أبو عبد الله بن المواز[3].

21- أبو العباس بن محمد المورويي[4].

22- ابن عمران بن أبي الفضل بن طاهر[5].

23- أبو القاسم عبد الكريم بن عمران[6].

24- أبو محمد ابن عبد الحق[7].

25- أبو محمد ابن القاسم الحرار[8].

26- أبو موسى عيسى بن يعقوب الهسكوري[9].

27- أبو يعقوب ابن يحيى بن الزيات[10].

28- أبو الحسن الكفيف[11].

29- أبو زيد ابن القاسم الطراز[12].

30- أبو محمد عبد الواحد بن مخلوف بن موسى المشاط[13].

31- أبو بكر الجملي[1].

---

(1) سير أعلام النبلاء (23/ 336) .
(2) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(3) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(4) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(5) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(6) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(7) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(8) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(9) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(10) الذيل والتكملة (8/ 166) .
(11) الذيل والتكملة (8/ 167) .
(12) الذيل والتكملة (8/ 167) .
(13) الذيل والتكملة (8/ 167) .

مؤلفات ابن القطان:

إن الذي يلقي نظرة على شيوخ أبي الحسن بن القطان سيلحظ أن مشاربهم قد تنوعت واختلفت، فبعضهم كان واسع الباع في علم الحديث، عالي الرواية، صحيح النقل والضبط، ومنهم من اشتهر بمعرفته لعلم الرجال، ومنهم من كان صدراً في الحفظ معروفاً بسرده للمتون والأسانيد، ومنهم من تصدر للإقراء، ومنهم من كان عالماً بالعربية إماماً في النحو، حافظاً للغريب، ومنهم من كان من مشاهير الخطباء، أو كبار الفقهاء، أو من الشعراء... وهذه المشارب المتنوعة التي نهل منها ابن القطان جعلت إنتاجه يتنوع هو الآخر؛ بين فقه وأصول وفنون مختلفة، غير أن الجانب الذي لمع فيه وبرز به دون غيره هو علم الحديث، ولهذا الاعتبار أُقَسِّمُ مصنفاته للأقسام التالية:

أ – مصنفات في الحديث:

1. كتاب: "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام"[2].
2. نقع الغلل، ونفع العلل في الكلام على أحاديث السنن، لأبي داود [3].
3. كتاب الرد على أبي محمد بن حزم في كتاب المحلي مما يتعلق به من علم الحديث[4].
4. كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند، حيث وقع من المسندات والمصنفات.

ذكر ابن عبد الملك أنه كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة في نحو عشر مجلدات[5].

5. رسالة في فضل عاشوراء، وما ورد فيه من الترغيب في الإنفاق فيه على الأهل[6].

---

(1) الذيل والتكملة (8/ 167) .

(2) وقد طبع الكتاب بتحقيق فضيلة الدكتور: آيت سعيد الحسين، ومعه دراسة جادة، تتسم بالدقة والنظر الحسن وحسن الترتيب.

(3) ذكره ابن عبد الملك له، وقال: وكمل له نحو ... في ثلاثة أسفار ضخمة ، الذيل والتكملة (8/ 167) .

(4) قال ابن عبد الملك: (ولم يتم) ، المصدر السابق.

(5) الذيل والتكملة (8/ 167 – 168) .

(6) الذيل والتكملة (8/ 168) .

6. رسالة في منع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث لدى العمل[1].
7. رسالة في تفسير المحدثين في الحديث أنه حسن[2].
8. رسالة في تبيين التناسب بين قول النبي – صلى الله عليه وسلم- "ويتوب الله على من تاب"، وما قبله من الحديث[3].
9. أحاديث في فضل التلاوة والذكر[4].
10. تفسير غريب الحديث[5].

ب- مصنفات في علم الرجال:

11. شيوخ الدار قطني، ويقع في مجلد متوسط[6].
12. كتاب تجريد من ذكره الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر، مجلدان متوسطان[7].
13. برنامج شيوخه[8].

جـ- مصنفات في الفقه :

14. كتاب النظر في أحكام النظر[9].
15. كتاب البستان في أحكام الجنان، ويقع في مجلدين متوسطين[1].

---

(1) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(2) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(3) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(4) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(5) ذكره ابن سعيد في تذييل رسالة ابن حزم (انظر غير مأمور: نفح الطيب (3/ 180) عن الأعلام للتعارجي (9/ 78) .
(6) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(7) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(8) الذيل والتكملة (8/ 168) .
(9) الذيل والتكملة (8/ 168) ، العلام للزركلي (4/ 331)، وقد قام بتحقيقه الأستاذ إدريس الصمدي تحت إشراف فضيلة أستاذنا الدكتور فاروق حمادة، ونشرته دار إحياء العلوم – بيروت .

16. رسالة في القراءة خلف الإمام.
17. رسالة في الإمامة الكبرى.
18. رسالة في الوصية للوارث.
19. رسالة في الرهن يوضع على يد أمين فيتعدى فيه.
20. رسالى في مشاطرة العمال.
21. رسالة في الأوزان والمكاييل.
22. رسالة في الطلاق الثلاث.
23. رسالة في الأيمان اللازمة .
24. رسالة في الختان.
25. رسالة في نفي التسعير.
26. رسالة في معاملة الكافر.

قال ابن عبد الملك: "جمعا للناصر من بني عبد المؤمن حين وفد عليه البابوج[2] أحد عظماء النصرانية سوغ له فيها القيام إليه عند معاينته برأيه، فلم يرضها الناصر وتحايل في تلقيه إياه قائماً من غير قعود".

27. المقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة.
28. رسالة في حث الإمام على الجلوس لسماع مظالم الرعية.
29. رسالة في تحريم التساب .
30. رسالة في الوصية بالجنين.
31. الإقناع في مسائل الجماع[1].

---

[1] الذيل والتكملة (8/ 168) ، الأعلام للتعارجي (9/ 80) .

[2] والبابوج أو البيبوج هذا ملك من ملوك النصرانية بالأندلس قدم على محمد الناصر الموحدي بإشبيلية عام 607 هـ ، وهو ملك بيونة، أو بنبلونة ، تعليق المحقق علي العلام للتعارجي (9/ 81) .

32. رسالة في المنع من إلقاء التفث في عشر ذي الحجة للمضحي.

د – مصنفات في علوم الأصول:

33. النزاع في القياس، لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس.
34. مسائل في أصول الفقه.

قال ابن عبد الملك: زعم أنه لم يذكرها الأصوليون في كتبهم، (مجلد لطيف) [2].

35. مقالة في إنهاء البحث منتهاه، عن مغزى من أثبت القول بالقياس ومن نفاه.

هـ - مصنفات في فنون متنوعة :

36. كتاب تقريب الفتح القسي، في مجلد متوسط.
37. كتاب ما يحاضر به الأمراء. قال ابن عبد الملك: "وبين فيه طريق مفاوضتهم، مجلد متوسط".
38. كتاب أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها، ويقع في مجلد متوسط.
39. أبو قلمون، ويقع في مجلدين ضخمين[3].

وهذه بعض النقول لثناء العلماء على ابن القطان الفاسي:

قال ابن الأبار (ت 658 هـ) في ابن القطان الفاسي: "كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسمائه ورجاله، وأشدهم عناية بالرواية، رأس طلبة العلم بمراكش".

---

(1) طبع بتحقيق فضيلة أستاذنا الدكتور فاروق حمادة .

(2) الذيل والتكملة (8/ 168) .

(3) الذيل والتكملة (8/ 167) . وذكر الأستاذ محمد بن شريفة في تعليقه على هذه التسمية: "أبو قلمون" أنها تطلق على ثوب رومي يتلون ألواناً ، ولا سيما أشرقت عليه الشمس، ويشبه به الدهر والروض وزمن الربيع .

ويقول عصرية الحافظ الدين بن مسدي (ت 663 هـ) فيه: "كان معروفاً بالحفظ والإتقان، ومن أئمة هذا الشأن"[1].

قال ابن عبد الملك (ت 703 هـ): "كان ذاكر للحديث مستبحراً في علومه، بصيراً بطرقه، عارفاً برجاله، عاكفاً على خدمته ، ناقداً مميزاً صحيحه من سقيمه، مثابراً على التلبس بالعلم وتقييده عمره" ثم عدد ابن عبد الملك مؤلفاته ثم قال: "إلى غير ذلك من المعلقات والفوائد في التفسير والحديث والفقه وأصوله والآداب والكلام والتواريخ والأخبار"[2].

أما عصرية المحدث الحافظ أبو عبد الله بن الأبار المعروف بتشدده في النقد فقد قال فيه: "وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية"[3].

ويقول الحافظ أبو جعفر بن الزبير (ت 708 هـ): "وكان ذاكراً للرجال والتاريخ عارفاً بعلل الحديث نقاداً ماهراً"[4].

ونقل ابن القاضي تحلية ابن الأبار لابن القطان ثم أضاف: "مع التفنن في المعرفة والدراية"[5].

أبو الحسن ابن القطان محافظ مكتبة القصر:

من المظاهر العلمية التي برزت في عهد الدولة المومنية تكوين مكتبة بالقصر تعاقب اهتمام الخلفاء بها؛ فعملوا على تزويدها بالنفائس واستجلاب الكتب إليها من كل مكان.

بل إن صاحب "المعجب" يذكر عن يوسف بن عبد المومن أنه اهتم في وقت ما بالفلسفة، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي، ويضيف: "ولم يزل يجمع الكتب

---

(1) تذكرة الحفاظ (4/ 1407) .
(2) الذيل والتكملة (8/ 168 – 169) .
(3) التكملة رقم 1920 .
(4) صلة الصلة (ص 132) .
(5) جذوة الاقتباس (2/ 471) .

من أقطار الأندلس والمغرب". ثم ذكر قصة استيلاء يوسف على مكتبة خاصة بالأندلس وتعويض صاحبها بولاية ضحمة ما كان يحدث بها نفسه[1].

أما المنوني فيقول عن الخلفاء الموحدين:

"كانوا مصرب الأمثال في الاهتمام باقتناء الكتب وتملكها"[2].

والواقع أن الكتب التي نقل منها ابن القطان في الحديث والرجال خاصة تعتبر من الكثرة والغرابة والندرة والتعدد، بحيث يستبعد أن تكون مملوكة لشخص واحد، ولا بد أن تكون تلك المصادر في ذلك الوقت هي محتوى مكتبة ملكية . وتوفر لابن القطان النقل من كتب تعذر على عبد الحق الإشبيلي أن يراها؛ كمسند بقي بن مخلد وتفسيره، ومصنف قاسم بن أصبغ وغيرها. وقد تولى ابن القطان نظارة هذه المكتبة، واستوعبها واطلع على خفاياها ودقائقها حتى إنه عندما نهبت تلك المكتبة وعيث فيها فساداً في إحدى الفتن؛ لم يجدوا من يعيد ترتيبها، ويعرف ما فقد منها وما نقص، وما بقي تاماً غيره[3].

قال أبو الحسن ابن القطان في مقدمة "البيان":

"فليس في كتاب أبي محمد عبد الحق حديث إلا وقفت عليه في الموضع الذي نقله منه، بل في مواضع لم يرها هو قط، بل لعله ما سمع بها، إلا أحاديث يسيرة لم أقف عليها في مواضعها"[4].

وحتى ابن المواق يعد العثور على حديث لم يعثر عليه ابن القطان من الأمور المستبعدة، ولهذا قال عندما تكلم على حديث عصمة بن مالك الذي نسب عبد الحق تخريجه إلى النسائي:

---

(1) المعجب (ص 347) عن علم العلل بالمغرب (1/ 221) .

(2) عن علم العلل بالمغرب (1/ 221) .

(3) الذيل والتكملة (8/ 174) .

(4) بيان الوهم والإيهام : آخر المقدمة: (1/ ل : 4. ب) .

"وناهيك ألا يقف عليه أبو الحسن بن القطان مع تمكنه من الخزانة السلطانية، وشدة اعتنائه بهذا الفن"[1].

ولعل د. إبراهيم بن الصديق لم يجانب الصواب حينما وصف مكتبة الموحدين بأنها كانت آنذاك أعظم مكتبات العالم الإسلامي[2].

والحق ما شهدت به الخصوم:

ومما يدل على ما للحافظ أبي الحسن بن القطان من المكانة العلمية ما رواه ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة[3] قال:

"قرئ على أبي الحسن ابن القطان يوما في مدة العادل... حديثٌ من أعلام النبوة، فتكلم عليه أبو الحسن بما حضره في مُضَمَّنِه، ثم ختم الخوض فيه بأن قال:

هذا من صفاء باطن النبي – صلى الله عليه وسلم – وشف جوهره في كلام نحو هذا، فنسب إليه القول باكتساب النبوات، وجرت في ذلك طائفة من ثالبيه والطاعنين عليه وكتبوا رسمين:

- استدعوا في أحدهما شهادة الشهود بمقابلته تلك.
- واستدعوا في الآخر فتاوى أهل العلم في قائل تلك المقالة، وأطالوا في ذلك وأعرضوا، ونسبه معظم الفروعيين[4] إلى البدعة وكفره آخرون منهم، وأجمع المتألبون عليه أنه لا يتم لهم الغرض من هذا العمل إلا بفتيا أبي الحجاج المكلاتي (ت 626 هـ/ 1229م).

---

(1) بغية النقاد: عند كلامه على الحديث رقم 75 .

(2) علم العلل بالمغرب (1/ 263) .

(3) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (1/ 433) .

(4) الفروعيون : المراد بهم فقهاء الفروع .

وقالوا: هو [أي أبو الحجاج المكلاتي] لا شك عدوه المناصب له، وسيغتنم هذه الواقعة للظفر به، والنيل منه؛ فتوجهوا بالرسمين إليه سائلين حكم الله فيه، واثقين منه بأنه يوجب قتله، أو معاقبته المعاقبة الشديدة، فلما نظر فيهما لم يتوقف عن تمزيقهما وإعدامهما البتة، وأنحى على الساعين في ذلك بأشد اللوم وبالغ في توبيخهم وتقريعه، ونال منهم أقبح منال، ثم قال: يا سيئي النظر وقليلي العقل! تعمدون إلى أجل شيوخكم، وأشهر علمائكم، وقد علمتم صيته في الآفاق بأنه وقف حياته، واشتهر طول عمره في خدمة السنة وعلوم الشريعة حتى صار من أئمتها والسابقين في ميدان المعرفة بها، وخوضه أبداً إنما هو مع جلة حملتها، وعظماء نقلتها من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى عصرنا هذا، وتتعرضون له بمثل هذا السعي القبيح!! فما الذي تفعلون غداً، أو بعد غدٍ معي، أو مع أمثالي ، ممن لا يعمر مجالسه أبداً إلا بالنظر مع القدرية والشيعة والرافضة والمعتزلة والكرامية والإباضية والإمامية و الإبراهيمية، وغيرهم من الفلاسفة وأهل الأهواء والبدع الحائدين عن مذاهب أهل السنة، ولا يشتغل إلا في ضرب بعض أقوالهم ببعض؟! اذهبوا خيَّب الله سعيكم، وأراح الإسلام والمسلمين منكم".

فانظر إلى هذا الأنصاف من أبي الحجاج المكلاتي مع خصم هو من ألد خصومه، وبماذا شهد له، ولم تمنعه الخصومة من الانتصار للحق، فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة ورحم كذلك أبا الحسن بن القطان فقد كان من العلماء المبرزين.

التصحيح والتضعيف عند ابن القطان:

كان أبو الحسن ابن القطان يتكلم في سائر فروع علوم الحديث، وقد ولج دائرة التصحيح والتضعيف كما ولج غير ذلك من فروع هذا العلم، وهذا مثال لذلك:

روى البزار في مسنده حديث أبي هريرة وهذا نصه:

"حدّثنا مقدم بن محمد بن علي بن مقدم المقدمي قال : حدثني عمي القاسم بن يحيى بن عطاء ابن مقدم، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: الصعيد وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليتق الله، وليمسه بشره، فإن ذلك خير"[1].

وعقب عليه البزار بقوله: "وهذا الحديث لا نعلمه يُرْوَى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – إلا من هذا الوجه ولم نسمعه إلا من مقدم بن محمد، عن عمه وكان مقدم ثقة معروف النسب"[2].

قال ابن القطان الفاسي: "وذكر[3] حديث أبي ذر: "الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين". وقنع فيه بتحسين الترمذي له، فهو عنده غير صحيح [لأنه لا يعرف حال لعمرو بن بجدان]، وقد بينا ما ينبغي من أمره في باب الأحاديث التي أعلها، ولم يبين لماذا؟ ونذكر الآن أن لهذا المعنى إسناداً صحيحاً من رواية أبي هريرة.

قال البزار : حدثنا مقدم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم المقدمي، قال: حدثني عمي: القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم، قال: حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الصعيد وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليتق الله وليمسه بشرته، فإن ذلك خير".

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم نسمعه إلا من مقدَّم، عن عمه، وكان مقدم ثقة، معروف النسب. انتهى كلام البزار"[4].

ثم قال ابن القطان: "فأقول[5] بعده : إن القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم، أبا محمد الهلالي الواسطي، يروي عن عبيد الله بن عمر، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، روى عنه ابن أخيه مقدم بن محمد

---

(1) البحر الزخار المعروف بمسند البزار (17/ 309) ح : 10068 .

(2) البحر الزخار المعروف بمسند البزار (17/ 310) .

(3) أي عبد الحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الوسطى .

(4) بيان الوهم والإيهام (5/ 267) .

(5) هذا القول لابن القطان الفاسي بيان الوهم والإيهام (5/ 267) .

الواسطي، وأحمد بن حنبل، وأخرج له البخاري في التفسير، والتوحيد، وغيرهما من جامعة معتمداً ما يروي، فاعلم ذلك"[1].

والحافظ ابن حجر لما تكلم على حديث أبي هريرة: "الصعيد وضوء المسلم" عند البزار في – التلخيص الحبير – قال: "وصححه ابن القطان، لكن قال الدار قطني في العلل إن إرساله أصح"[2].

وإذا كان الحافظ ابن حجر ذكر ترجيح الدار قطني أن الحديث مرسل في كتاب "التلخيص الحبير" لكنه أعاد ذكر ذلك في كتابه: "بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ثم قال: "وللترمذي عن أبي ذر نحوه وصححه"[3].

أما في كتابه: "إتحاف المهرة" فقد نقل عن ابن القطان تصحيحه لإسناد هذا الحديث وسكت عنه[4].

وصنيعه هذا – في هذين الكتابين الخيرين – في ترجيح اللتصحيح، وإن كان في بلوغ المرام مال إلى تصحيح الشاهد، وفي إتحاف المهرة مال إلى تصحيح الحديث نفسه.

وهذا الحديث ذكره الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد" ونسب روايته إلى البزار وقال: "قلت: ورجاله رجال الصحيح"[5].

ونقل كذلك الزيلعي في "الراية"[6] عن ابن القطان أن إسناده صحيح.

---

(1) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ابن القطان الفاسي (5/ 266) ح : 2464 .

(2) التلخيص الحبير (1/ 154) .

(3) بلوغ المرام من أدلة الأحكام مع شرح افمام الصنعاني .

(4) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة لابن حجر العسقلاني (15/ 520) ح : 19813 .

(5) مجمع الزائد للهيثمي (1/ 261) .

(6) نصب الراية (1/ 150) .

والإمام ابن دقيق العيد لما ذكر حديث الباب في كتابه "الإلمام بأحاديث الأحكام"[1] قال: "أخرجه الحافظ أبو بكر البزار، وأورده ابن القطان في باب أحاديث ذكر أن أسانيدها صِحاح".

وهذه موافقة من ابن دقيق العيد على الحكم الذي حكم به ابن القطان على هذا الحديث.

قلت: أما من حيث السند؛ فرواته كلهم ثقات :

– مقدم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم الهلالي المقدمي الواسطي: من الطبقة العاشرة، وهو من شيوخ البخاري.

– القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم : ثقة من رجال البخاري.

– هشام بن حسان الأزدي القردوسي، أبو عبد الله البصري: روى له البخاري ومسلم وأبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجة.

– محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، مولى أنس بن مالك (أخو أنس ومعبد وحفصة وكريمة)، وهو من الطبقة الثالثة، الوسطى من التابعين.

روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

وهذا الحديث ذكره السيوطي في جامعه (ح : 3861) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وبهذا يتبين أن تصحيح ابن القطان للحديث هو الذي يترجح عند كبار نقاد الحديث.

ولما بقي لي أن أتكلم على علم الرجال وابن القطان، وكذا على الكلام على علل الحديث عند ابن القطان، وكذا على نقول العلماء عن ابن القطان؛ فإنني لسلوك باب الاختصار جمعت بين هذه العناوين من خلال: النقول عن ابن القطان؛ إذ فيها إلماعة كافية إلى العناصر الأخرى.

---

[1] الإلمام بأحاديث الأحكام (1/ 108) .

نقول الحافظ جمال الدين الزيلعي (ت 762 هـ) عن ابن القطان:

قال الحافظ جمال الدين الزيلعي في كتاب الصلاة من "نصب الراية لأحاديث الهداية": "وروى الدار قطني[1] ثم البيهقي[2] في "سننهما" من حديث الحسين بن نصر المؤدب عن سلام بن سليمان عن عمر بن عبد الرحمن بن يزيد عن محمد بن واسع عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اجعلوا أئمتكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم"، انتهى .

قال البيهقي: إسناده ضعيف، انتهى.

وقال ابن القطان في "كتابه" : "وحسين بن نصر لا يعرف"[3]. انتهى[4].

ونقل الحافظ الزيلعي عن ابن القطان تجهيله لحسين بن نصر المؤدب يعتبر إقراراً منه موافقةً له على حكمه على هذا الراوي.

نقل آخر للحافظ الزيلعي عن ابن القطان في نصب الراية:

تكلم الحافظ الزيلعي على:

"الحديث الثاني والثلاثون: قال عليه السلام: "إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا"، قلت: روى من حديث ابن عباس، ومن حديث حبيبة بنت أبي تجزأة، ومن حديث تملك العبدرية، ومن حديث صفية بنت شيبة"[5].

---

(1) سنن الدار قطني (2/ 87) ح : 10 .

(2) السنن الكبرى للبيهقي (3/ 90) .

(3) بيان الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي بتحقيق د. الحسين آيت سعيد (3/ 148) ح : 857 .

(4) نصب الراية (2/ 26) .

(5) نصب الراية لأحاديث الزيلعي (3/ 55) .

ثم قال: "فحديث ابن عباس: رواه الطبري في "معجمه"؛ ثنا محمد بن النظر الأزدي عن معاوية بن عمرو عن المفضل بن صدقة عن ابن جريج، وإسماعيل بن مسلم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، قال: سُئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الرمل، فقال: "إن الله عز وجل كتب عليكم السعي فاسعوا"، انتهى.

وأما حديث حبيبة بنت أبي تجزأة: فرواه الشافعي، وأحمد[1]، وإسحاق بن راهويه، والحاكم في "المستدرك" وسكت عنه، وأعله ابن عدي في "الكامل" بابن المؤمل، وأسند تضعيفه عن أحمد والنسائي، وابن معين، ووافقهم، ومن طريق أحمد، الطبراني في "مجمعه"، ومن طريق الشافعي رواه الدار قطني، ثم البيهقي في "سننيهما"، قال الشافعي : أخبرنا عبد الله بن المؤمل العائذي عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت أبي تجزأة[2] – إحدى نساء بني عبد الدار – قالت: رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطوف بين الصفا والمروة، والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي، وهو يقول: "اسعوا، فإن الله تعالى كتب عليكم السعي"، انتهى. وأخرجه الحاكم في "المستدرك" أيضاً في "الفضائل" عن عبد الله ابن نبيه عن جدته صفية عن حبيبة بنت أبي تجزأة بنحوه، وسكت عنه أيضاً، ورواه ابن أبي سيبة في "مصنفه" حدثنا محمد بن عبد الله بن المؤمل حدثنا عبد الله بن أبي حسين عن عطاء عن حبيبة بنت أبي تجزأة، فذكره، قال أبو عمر بن عمر بن عبد البر: أخطأ ابن أبي شيبة، أو شيخه في موضعين منه: أحدهما: أنه جعل موضع ابن محيصن عبد الله بن أبي حسين، والآخر: أنه أسقط صفية بنت شيبة"[3].

ثم نقل عن ابن القطان قوله: "وعندي أن الوهم من عبد الله بن المؤمل، فإن ابن أبي شيبة إمام كبير، وشيخه محمد بن بشر ثقة، وابن المؤمل سيء الحفظ: وقد اضطرب في هذا الحديث اضطراباً كثيراً، فأسقط عطاء مرة، وابن محيصن أخرى، وصفية بنت شيبة أخرى، وأبدل ابن محيصن، بابن أبي حسين

---

(1) الحديث عند أحمد في مسنده (1/ 6) ح : 27407 وطرفه الأول: "دخلنا على دار أبي حسين في نسوة من قريش والنبي – صلى الله عليه وسلم – يطوف بين الصفا والمروة ..." .

(2) قوله: تجزأة، قال في القاموس – في مادة : ج ز –: وحبيبة بنت أبي تجزأة – بصم التاء، وسكون الجيم – صحابية، اهـ .

(3) نصب الراية (3/ 55 – 56) .

أخرى، وجعل المرأة عبدرية تارة، ويمنية أخرى ، وفي الطواف تارة، وفي السعي بين الصفا والمروة أخرى، وكل ذلك دليل على سوء حفظه، وقلة ضبطه، والله أعلم، انتهى"[1].

ثم ساق الزيلعي طريقاً آخر صحيحة لهذا الحديث من عند الدار قطني في سننه.

وهذا النقل المتقدم عن ابن القطان إنما ذكره في "بيان الوهم والإيهام" عند الكلام على حديث على حبيبة بنت أبي تجزأة الشيبية، قالت: "رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطوف بين الصفا والمروة، والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى، حتى رأى ركبتيه من شدة السعي، وهو يقول: اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي"[2].

قال ابن القطان: "رواه عبد الله بن المؤمل، وتفرد به"[3].

ونقل عن ابن عبد البر قوله فيه: "كان سيء الحفظ"[4].

ثم قال : "فهذا الاضطراب بإسقاط عطاء تارة، وابن محيصن أخرى، وصفية بنت شيبة أخرى، وإبدال ابن محيصن بابن أبي حسين أخرى، وجعل المرأة عبدرية تارة، ومن أهل اليمن أخرى، وفي الطواف تارة وفي السعي [بين الصفا والمرة أخرى من عبد الله بن المؤمل هو دليل على سوء حفظه وقلة ضبطه]. وما عهد من أبي محمد[5]، هو رد روايات ابن المؤمل"[6].

قلت: ومن الواضح أن الحافظ الزيلعي أورد ما نقله عن ابن القطان دون أن يعقب عليه، وصنيعه هذا يفيد أن قَبِلَ ما ذكره ابن القطان أن الاضطراب الواقع في رواية هذا الحديث من طريق عبد الله بن المؤمل منه.

---

(1) نصب الراية (3/ 56) .

(2) بيان الوهم والإيهام (5/ 155) .

(3) بيان الوهم والإيهام (5/ 155) .

(4) بيان الوهم والإيهام (5/ 155) .

(5) المراد بأبي محمد : عبد الحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الوسطى .

(6) بيان الوهم والإيهام (5/ 159) .

ومن المعلوم أن الحديث إذا وقع في رواية من رواياته اضطراب من أحد رواته، وسلم لنا من روايات أخر لا يضره ما وقع في الرواية المضطربة من هذا الراوي السيء الحفظ ما وقع فيه.

ولهذا لما اطلع الكمال بن الهمام الحنفي على كلام ابن القطان الفاسي نقل قوله مختصراً له بقوله: "قال ابن القطان: نسبة الوهم إلى ابن المؤمل أولى، وطعن في حفظه مع أنه اضطرب في هذا الحديث كثيراً، فأسقط عطاء مرة وابن محيصن أخرى، وصفية بنت شيبة، وأبدل ابن محيصن بابن أبي حسين، وجعل المرأة عبدرية تارة ويمنية أخرى.

وفي الطواف تارية، وفي السعي بين الصفا والمروة أخرى" اهـ[1].

ثم رد عليه بقوله: "وهذا لا يضر بمتن الحديث إذ بعد تجويز المتقنين له لا يضره تخليط بعض الرواة، وقد ثبت من طرق عديدة منها طريق الدار قطني عن ابن المبارك: أخبرني معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أخته صفية قالت: "أخبرني نسوة من بني عبد الدار اللاتي أدركن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلن دخلن دار ابن أبي حسين فرأينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلخ، قال صاحب التنقيح: إسناده صحيح"[2].

نقول شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت 840 هـ) عن ابن القطان:

ولما تكلم الحافظ البوصيري في كتابه "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة" في باب حسن معاشرة النساء ساق الحديث الذي رواه ابن ماجة بقوله: حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ومحمد بن يحيى . قالا حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان عن عمه عن عمارة بن ثوبان عن عطاء عن ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[3].

---

(1) فتح القدير لكمال بن الهمام ،كتاب الحج، باب الإحرام .

(2) فتح القدير لكمال بن الهمام ،كتاب الحج، باب الإحرام .

(3) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري (2/ 113) ح : 701 – 1977 .

ثم قال الحافظ البوصيري: "هذا إسناد ضعيف عمارة بن ثوبان ذكره ابن حبان في الثقات وقال عبد الحق ليس بالقوي فرد ذلك عليه ابن القطان وقال ابن حبان ليس بالقوي، وقال إنما هو مجهول الحال، وجعفر بن يحيى قال ابن المديني شيخ مجهول، وقال ابن القطان الفاسي مجهول الحال"[1].

وتضعيف ابن القطان الفاسي للراوي: جعفر بن يحيى مذكور في بيان الوهم والإيهام في عدة مواضع؛ وهي:

الموضع الأول : حينما تكلم ابن القطان على حديث ابن عباس: "خياركم ألينكم مناكب في الصلاة". من طريق أبي داود. ورده[2] بأن قال: عمارة بن ثوبان ليس بالقوي. وهذا لا أعرفه في هذا الرجل، ولا أدري لمن رآه فيه، وإنما هو مجهول الحال. ومع ذلك فإنه لم يبين حال جعفر بن يحيى بن ثوبان، ابن أخيه، ولا أنه من روايته، وهو أيضاً مجهول الحال كذلك"[3].

الموضع الثاني: حينما تكلم ابن القطان على حديث: "يعلى بن أمية: "احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه"، وأبرز[4] من إسناده موسى بن باذان، وترك عمارة بن ثوبان، ودونه ابن أخيه جعفر بن يحيى بن ثوبان، والثلاثة مجهولون"[5].

الموضع الثالث : حينما أعاد ابن القطان ذكر حديث السابق [احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه] : حيث قال: "وعمارة أيضاً لا يعرف روى عنه غير ابن أخيه جعفر بن يحيى بن ثوبان، وهو روى عنه هذا الحديث، وجعفر أيضاً لا تعرف حاله. فهم كما ترى ثلاثة مجاهيل متتابعين في رواية هذا الحديث"[6].

---

(1) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري (2/ 113) ح : 701 – 1977 .

(2) الضمير هنا يعود على عبد الحق الإشبيلي في كتاب الأحكام الوسطى: (2/ 138) .

(3) بيان الوهم والإيهام (3/ 151) ح : 860 .

(4) (وأبرز من إسناده) أي عبد الحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الوسطى (4/ 211) .

(5) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لابن القطان الفاسي (3/ 167) ح : 875 .

(6) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لابن القطان الفاسي (5/ 69) ح : 2315 .

نقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) عن ابن القطان:

نقول الحافظ ابن حجر عن ابن القطان في فتح الباري:

جاء في صحيح البخاري في "كتاب الحج". "باب الزيارة يوم النحر" ما نصه: "وقال أبو الزبير عن عائشة وابن عباس – رضي الله عنهما – "أخر النبي – صلى الله عليه وسلم – الزيارة إلى الليل".

ويذكر عن أبي حسان عن ابن عباس – رضي الله عنهما – "أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يزور البيت أيام منى".

1732 – وقال لنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر – رضي الله عنهما – "أنه طاف طوافاً واحداً ثم يقيل ثم يأتي منى" يعني يوم النحر ورفعه عبد الرزاق أخبرنا عبيد الله"[1].

ولما تناول الحافظ ابن حجر شرح الحديث في "فتح الباري" قال: "قوله: "باب الزيارة يوم النحر" أي زيارة الحاج البيت للطواف به، وهو طواف الإفاضة، ويسمى أيضاً طواف الصدر وطوال الركن . قوله: "وقال أبو الزبير ...إلخ" وصله أبو داود والترمذي وأحمد من طريق سفيان وهو الثوري عن أبي الزبير به، قال ابن القطان الفاسي: هذا الحديث مخالف لما رواه ابن عمر وجابر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه طاف يوم النحر نهاراً. انتهى"[2].

والحافظ ابن حجر يشير إلى ما عقب به ابن القطان على صنيع عبد الحق الإشبيلي؛ حيث ذكر حديث علي بن عبد العزيز من منتخبه: "قال علي بن عبد العزيز في منتخبه: حدثنا محمد بن عمار،

---

[1] فتح الباري مع متن البخاري كاملاً ابن حجر (3/ 567) .

[2] فتح الباري مع متن البخاري كاملاً ابن حجر (3/ 567) .

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان، حدثنا أبو الزبير، عن عائشة وابن عباس، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – "أخر طواف الزيارة إلى الليل""[1].

ثم عقب ابن القطان على ذلك بقوله: "وأظن أنا أبا محمد[2] اعتقد في حديث أبي داود، عن أبي الزبير، عن ابن عباس وعائشة، – الذي قلنا: إنه ذكره في آخر الباب – أنه في معنى لآخر، كأنه اعتقد في حديث الترمذي إنه في طواف القدوم، وفي حديث أبي داود أنه في طواف الإفاضة، فإنه ذكر حديث الترمذي في أول الباب – حين ذكر الأحاديث التي فيها طواف القدوم – وذكر حديث أبي داود في آخر الباب حين ذكر طواف الإفاضة، وليس الأمر كذلك ، وما هو إلا حديث واحد، وما الطواف الذي ذكر فيهما إلا طواف الإفاضة إلا أن عائشة وابن عباس خالفا غيرهما من الصحابة، ممن روى أنه عليه السلام: "طاف يوم النحر نهاراً" . هذا قول ابن عمر وجابر"[3].

وابن القطان يشير بذلك إلى أن ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن مما قد يفهم منه أن حديث الترمذي في طواف القدوم، أما حديث أبي داود فهو في طواف الإفاضة ليس كذلك، بل هما معاً في طواف الإفاضة.

ولم يعترض الحافظ ابن حجر على ما ذكره ابن القطان ولكنه وجه الاختلاف في ذلك بقوله: "فكأن البخاري عقب هذا بطريق أبي حسان ليجمع بين الأحاديث بذلك، فيحمل حديث جابر وابن عمر على اليوم الأول، وحديث ابن عباس هذا على بقية الأيام"[4].

– قال الحافظ ابن حجر في كتابه: "تلخيص الحبير"[5] :

---

(1) بيان الوهم والإيهام (2/ 41) .

(2) أي عبد الحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الوسطى .

(3) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ابن القطان الفاسي (2/ 41) .

(4) فتح الباري مع متن البخاري كاملاً ابن حجر (3/ 567) .

(5) تلخيص الحبير (1/ 12 – 13) ح : 2 .

"حديث" أنه – صلى الله عليه وسلم – توضأ من بئر بضاعة" الشافعي وأحمد وأصحاب السنن والدار قطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله: أنتوضأ من بئر بضاعة، وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلام والنتن؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء".

لفظ الترمذي: وقال حديث حسن وقد جوده أبو أسامة[1] وصححه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو محمد بن حزم[2] ونقل ابن الجوزي أن الدار قطني قال: إنه ليس بثابت ولم نر ذلك في "العلل" له ولا في "السنن" وقد ذكر في "العلل" الاختلاف فيه على ابن إسحاق وغيره، وقال في آخر الكلام عليه وأحسنها إسناداً رواية الوليد بن كثير عن محمد بن كعب يعني عن عبد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد، وأعله ابن القطان بجهالة راويه عن أبي سعيد واختلاف الرواة في اسمه واسم أبيه قال ابن القطان وله طريق أحسن من هذه".

والحافظ ابن حجر إنما عنى ما ذكره ابن القطان في: "بيان الوهم والإيهام" حينما قال: "وذكر من طريق الترمذي، عن أبي سعيد حديث: "أنتوضأ من بئر بضاعة" الحديث. وأتبعه قول الترمذي فيه: حسن.

ولم يبين ما المانع من صحته، وقال: رُوي من غير وجه عن أبي سعيد، وأمره إذا بُـيِّن يبين منه ضعيف الحديث لا حسنه.

---

(1) أخرجه أبو داود (1/ 55) كتاب الطهارة: باب ما جاء في بئر بضاعة، الحديث 67، والشافعي في المسند (1/ 21) : كتاب الطهارة: باب في المياه، الحديث 35 ، وأبو داود الطيالسي 292، وأحمد (3/ 31) في مسند أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – والترمذي (1/ 95): كتاب الطهارة: باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، الحديث 66، والنسائي (1/ 174) : كتاب المياه: باب ذكر بئر بضاعة، وابن الجارود (ص 27) : باب في طهارة الماء، الحديث 47 ، والدار قطني (1/ 29 – 30): كتاب الطهارة: باب الماء المتغير ، الحديث، والبيهقي (1/ 257) : كتاب الطهارة: باب الماء الكثير لا ينجس بنجاسة تحدث فيه ما لم يتغير، وقال الترمذي : هذا حديث حسن وقد جوده أبو أسامة، ولم يرو حديث أبي سعيد في بئر بضاعة، أحسن مما روى أبو أسامة .

(2) قال المزي في تحفة الأشراف (19/ 84) وقال أبو الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل : حديث بئر بضاعة صحيح، ونقل ابن الملقن في البدر المنير (2/ 20) تصحيح ابن حزم للحديث فقال: هذا حديث صحيح جميع رواته معروفون عدول.

- وقال النووي في المجموع (1/ 82) : حديث صحيح .

وذلك أن مداره على أبي أسامة عن محمد بن كعب، ثم اختُلِف على أبي أسامة في الواسطة التي بين محمد بن كعب وأبي سعيد.

فقوم يقولون: عبد الله بن عبد الله بن رافع بن خديج.

وقوم يقولون: عبيد الله بن عبد الله بن رافع بن خديج.

وله طريق آخر من رواية ابن إسحاق عن سليط بن أيوب، واختلف على ابن إسحاق في الواسطة التي بين سليط وأبي سعيد:

فقوم يقولون: عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع.

وقوم يقولون: عبد الله بن عبد الرحمن بن رافع .

وقوم يقولون: عن عبد الرحمن بن رافع.

فتحصل في هذا الرجل الراوي له عن أبي سعيد، خمسة أقوال.

عبد الله بن عبيد الله بن رافع، وعبيد الله بن عبد الله بن رافع، وعبد الله بن عبد الرحمن بن رافع، وعبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع، وعبد الرحمن بن رافع، وكيفما كان فهو من لا تعرف له حال ولا عين[1].

والأسانيد بما ذكرناه في كتب الأحاديث معروفة، وقد ذكر البخاري في تاريخه الخلاف المذكور مفسراً .

---

[1] وقال الدكتور آيت سعيد عند: في الهامش – معترضاً على ابن القطان فيما ذهب إليه : (بل عينه معروفه، وإنما اختلف في اسمه). بيان الوهم والإيهام (3/ 309) هامش رقم (5) .

ولحديث بئر بضاعة طريق حسن من غير رواية أبي سعيد من رواية سهل بن سعد، سنذكره (إن شاء الله) في باب الأحاديث التي ساقها صحاحاً أو حساناً، وهي ضعيفة من تلك الطرق، صحيحة أو حسنة من غيرها"[1].

وقد وفى ابن القطان بوعده حيث ذكر الحديث في الباب الحادي عشر الذي خصصه للأحاديث التي ذكرها عبد الحق الإشبيلي على أنها صحيحة أو حسنة، وهي ضعيفة من تلك الطرق، صحيحة أو حسنة من غيرها، حيث قال:

"وذكر حديث أبي سعيد في بئر بضاعة، وبينا العلة التي لأجلها لم يقل فيه: صحيح لكن حسن، في باب الأحاديث التي لم يبين عللها. ونذكر الآن هنا أن له إسناداً صحيحاً من رواية سهل بن سعد. قال قاسم بن أصبغ: [حدثنا ابن وضاح] حدثنا أبو علي: عبد الصمد بن أبي سكينة الحلبي بحلب، قال: حدثنا عبد العزيز أبي حازم عن أبيه، عن سهل بن سعد، قالوا: يا رسول الله، إنك تتوضأ من بئر بضاعة، وفيها ما ينجي الناس والمحايض والخبث، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الماء لا ينجسه شيء".

قال قاسم: هذا من أحسن شيء في بئر بضاعة، وقال محمد بن عبد الملك بن أيمن: حدثنا ابن وضاح، فذكره أيضاً بإسناده ومتنه [... قال ابن حزم: وعبد الصمد بن أبي] سكينة، ثقة مشهور، [... وقال قاسم: ويروى حديث عن] سهل بن سعد في بئر بضاعة من طرق، هذا خيرها فاعلم ذلك".

وبهذا يتبين أن الحافظ ابن حجر اطلع على قول أبي الحسن بن القطان على الحديث في الموضعين من كتابه: "بيان الوهم والإيهام" وارتضاه، وتلك عادة الحافظ ابن حجر إذا قبل من أحكام النقاد سواء على الأحاديث أو على الرجال؛ فإنه لا يعقب، أما إذا لم يرتض ذلك فإنه لا يترك الفرصة تمر إلا بحكم منه.

---

[1] بيان الوهم والإيهام (3/ 308) ح : 1059 .

نقد الحافظ الذهبي لابن القطان:

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي – رحمه الله – في كتابه "مختصر كتاب الوهم والإيهام" لابن القطان: [وكتب الذهبي أيضاً على ظاهر الكتاب قائلاً عن ابن القطان]:

"لقد أسرف في المحاققة والتعنت للحافظ أبي محمد، وبالغ في ذلك، وأصاب في كثير من ذلك، ولم يصب في أماكن، وغلط فيها، وألزم أبا محمد بتطويل الكلام على الأحاديث بما لا يناسب الأحكام المختصرة التي بلا أسانيد، وعمد إلى رواة لهم جلالة وجلادة في العلم، وحديثهم في معظم دواوين الإسلام فغمزهم بكون أن أحداً من القدماء ما نص على توثيقهم بحسب ما اطلع هو عليه، وقاعدته كابن حزم، وأهل الأصول : يقبل ما روى الثقة سواء خولف أو رفع الموقوف أو وصل المرسل.

والرجل [فحافظ] في الجملة له اطلاع عظيم، وتوسع في الرجال، ويقظة وفطنة قل من يجاريه في زمانه أخذ الفن من المطالعة"[1].

والذهبي حينما ترجم لابن القطان الفاسي في تاريخ الإسلام قال: "قلت: طالعت جميع كتابه "الوهم والإيهام" الذي علمه على تبيين ما وقع من ذلك لعبد الحق في "الأحكام" يدل على تبحُّره في فنون الحديث، وسيلان ذهنه، لكنه تعنّت وتكلم في حال رجال فما أنصف، بحيث إنه زعم أن هشام بن عروة، وسهيل بن أبي صالح ممن تغيّر واختلط، وهنا فاتته سكتة ، ولكن محاسنه جمّة"[2].

هنا جملة أمور في نقد الذهبي لابن القطان؛ منها:

- الإسراف في المحاققة والمبالغة في ذلك.
- إصابة وجه الحق في كثير من أحكامه.
- عدم الإصابة في بعض أحكامه.

---

(1) نقد الإمام الذهبي لبيان الوهم والإيهام (ص 71 – 72) .

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (13/ 866) ترجمة : 471 .

- مقتضى كلام ابن القطان إلزام عبد الحق الإشبيلي أن يخالف منهج المحدثين في كتب الأحكام بالتطويل عوض الاختصار.
- جرح رواة لهم جلالة وجلادة في العلم – مثل: هشام بن عروة، وسهيل بن أبي صالح.
- مؤاخذة ابن القطان بقبول رواية الثقة وإن خولف .
- ابن القطان حافظ في الجملة، وله محاسن جمّة.
- ابن القطان واسع الاطلاع، متبحر في فنون الحديث.
- ابن القطان واسع المعرفة بأحوال الرجال.
- ابن القطان له يقظة وفطنة وسيلان ذهن، وهو واحد زمانه وفريد عصره في هذا العلم.
- ابن القطان أخذ العلم من المطالعة .

مناقشة الذهبي في نقده لابن القطان:

وبين يدي هذه المناقشة أضع سؤالاً هل كان لعلم الحديث وجود بالمغرب حتى يكون لابن القطان شيوخ له فيه، أم أن الغرب الإسلامي لم يعرف هذا العلم حتى جاء ابن القطان، وبالتالي استفاد علمه من المطالعة؟.

وقبل الجواب أورد نصاً للذهبي في كتابه: (الأمصار ذوات الأثر): ليتوضح لنا كيف يتصور الذهبي وضع العلم في الغرب الإسلامي:

تكلم الذهبي على (الأندلس) فقال: "كقرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وبلنسية؛ فُتحت في أيام الوليد بن عبد الملك، وجُلب العلم إليها، لكن اشتهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب، ويحيى بن يحيى، وأصحابهما، ثم ببقيّ بن مخلد، ومحمد بن وضاح.

وخرج منها مثل ابن عبد البر، وأبي عمرو الداني، وابن حزم الظاهري، وأبي الوليد الباجي، وأبي علي الغساني"[1].

ثم تكلم على المغرب فقال: "إقليم المغرب؛ فأدناه إقليم إفريقية، وأمها هي مدينة القيروان، كان بها سحنون بن سعيد الفقيه [صاحب ابن القاسم].

وأما بجاية، وتلمسان، وفاسٌ، ومراكش، وغالب مدائن المغرب، فالحديث بها قليلٌ، وبها المسائل"[2].

ونقل الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ما ذكره الذهبي في النص السابق وعلق عليه بقوله: "وكلهم مقلدون لمالك – رحمه الله – وطائفة ظاهريون، وفيه بقية من علم"[3].

وعند ترجمة الحافظ ابن حجر لمحمد بن علي بن الشيخ السبتي[4] في "لسان الميزان" نقل عن الذهبي كلامه من "تاريخ الإسلام": "في أواخر الأربع مائة كان هذا الرجل محدث سبتة في وقته مشهور بالخير والورع وصل إلى الأندلس وسمع من ابن عيسى الليثي وغيره"[5]. ثم نقل عن الذهبي قوله: "وسبتة

---

(1) الأمصار ذوات الأثر لشمس الدين الذهبي (تحقيق محمود الأرناؤوط) طبعة دار ابن كثير (ص 52) .

(2) الأمصار ذوات الأثر لشمس الدين الذهبي (تحقيق محمود الأرناؤوط) طبعة دار ابن كثير (ص 54) .

(3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902 هـ) ، (ص 297) .

(4) قال الحافظ ابن حجر: "محمد بن علي بن الشيخ السبتي أحد الفضلاء روى عن وهب بن مسيرة خيراً موضوعاً في فضل سبتة فاتهم بسببه، قال القاضي عياض في مشيخته: حدثني أحمد بن قاسم الصنهاجي – وكان لا بأس به – أخبرني الفقيه أبو علي بن خالد، وأبو عبد الله محمد بن عيسى؛ قالا: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ، ثنا وهب بن ميسرة، عن محمد بن وضاح، عن سحنون، عن أبي القاسم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "في الغرب مدينة على مجمع بحري المغرب، وهي مدينة بناها سبت بن سام بن نوح، واشتق لها اسماً من اسمه في سبتة، ودعا لها بالبركة والنصر، فلا يريد بها أحد سوءاً أو بأهلها إلا رد الله دائرة السوء عليه". قال القاضي : سمعت غير واحد من شيوخنا يذكر هذا الخبر من رواية ابن الشيخ، ورواه عنه جماعة من شيوخ بلدنا ووجدته بخط كبراء منهم، وهو حديث موضوع لا شك فيه، ولم يخرج إلا عن ابن الشيخ، وهو في فضله ودينه وعلمه لا أدري من أين دخلت عليه فيه الداخلة ، والحمل فيه عليه على كل حال) .

(5) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (5/ 291) .

مدينة اشتهرت في هذه الأيام ولا أعلم أحداً من أهلها روى العلم قبل هذا الرجل وقد استولى الفرنج على سبتة بعده بمدة"[1].

هذه النصوص تظهر لنا كيف كان المشارقة عموماً ينظرون إلى المغرب من حيث نذرة العلم به، وأن علماءه قلة قليلة ليس لهم أصول ولا فروع إلا الناذر منهم.

فهذه مشيخة الحافظ ابن القطان الفاسي ذكرها في كتابه: "المعجم" الذي ترجم فيه لشيوخه، فهل اطلع عليه الإمام الذهبي ليحكم على الرجل بأنه لا مشيخة له، وأنه أخذ علمه من المطالعة.

وقد ناقش الأستاذ الدكتور إبراهيم بن الصديق – رحمه الله تعالى – نقد الذهبي لابن القطان فأشار إلى حقيقتين غابتاً عن مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي وهما:

الحقيقـــة الأولى: الصلة الوثقى بين عدوتي الأندلس والمغرب، ذلك أن المغرب في عهدي الدولتين المرابطية والموحدية كانت به إمارة المؤمنين، وأنه كان مستنجد المسلمين في الأندلس، ومن ثم فكبار العلماء بالأندلس كانت لهم رحلات علمية إلى المغرب؛ يعقدون فيها المجالس الحديثية والإملائية، ويروون فيها مروياتهم بأسانيدهم، بل إن طائفة منهم فضلوا الاستقرار بالمغرب مما جعل كل راغب في السماع منهم يرحل إليهم.

وهكذا تم للعدوتين نوع من التلاقح الثقافي بين العلماء، وأصبح للمغرب مكانته العلمية المتميزة ، وليس من أمير من أمراء المرابطين والموحدين إلا وكانت له عناية بالعلماء وطلبة العلم؛ مما انعكس على الطلبة والعلماء وشجعهم على التحصيل والمثابرة.

ومن العلماء الأندلسيين الذين استقر بهم المطاف في المغرب نذكر:

---

[1] لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (5/ 291) .

– أبو عبد بن الرمامة الذي روى عنه الجلة من الأندلسيين والمغاربة ، وولي قضاء فاس ، وبها توفي.

قال ابن الأبار "وحدث بها ودرس وأخذ الناس عنه"[1].

– أبو عبد الله بن الصيقل، كان من أهل صناعة الحديث، واسع الرواية، وتوفي بفاس سنة خمس مائة (500 هـ).

أبو الحسن بن حنين الذي طاف المشرق والمغرب واستقر بمدينة فاس، وبنى بها مسجداً نسب إليه، قال ابن الزبير "ولم يحدث بعده عن مولى ابن الطلاع بالسماع سوى رجلين؛ أبي عبد الله بن خليل القيسي، وصالح الترغي من أهل غرب العدوة"[2].

وأبو عبد الله بن خليل القيسي المشار إليه، كان مقصوداً بالرحلة إليه بعد استقراره بالمغرب لعلو روايته؛ قال فيه ابن الأبار : "وكان من أهل الرواية والدراية نزل مدينة فاس، ثم انتقل إلى مراكش، وأقرأ وحدث، وأخذ عنه جماعة، منهم أبو عبد الله الأندرش شيخنا"[3].

– الحافظ الكبير: أبو محمد بن عبيد الله الحجري، نزيل سبتة ودفينها، وأحد شيوخ ابن القطان...[4].

ومجمل القول هنا أن المغرب أصبح قبلة لطائفة من الأندلسيين الذين قصدوه للأخذ عن العلماء الذي ارتحلوا إليه، فأقاموا به، أو الذين نبغوا من أهله، وعلى رأس هذه المدن المغربية التي أصبحت لها هذه المكانة العلمية فاس ومراكش وسبتة وسجلماسة وبجاية وتلمسان ...

---

(1) التكملة (2/ 676) .

(2) صلة الصلة لابن الزبير (ص 103) ، وينظر الذيل والتكملة (5/ 152) .

(3) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (2/ 516) .

(4) تنظر ترجمته ضمن شيوخ ابن القطان .

وأسوق أمثلة لذلك:

– ترجم ابن الأبار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري القرطبي فذكر أنه: "رحل إلى مدينة فاس في طلب العلم؛ فأخذ عن أبي عبد الله بن زرقون ..." [1].

– ترجم ابن القاضي في جذوة الاقتباس لأبي عبد الله محمد بن سعيد الطراز، الغرناطي فقال: "كان مقرئاً جليلاً، ومحدثاً حافلاً ممن ختم به في المغرب هذا الباب، دخل مدينة فاس، وأخذ بها عن أبي بكر بن زيدان، وأبي البقاء يعيش بن القديم، وأبي محمد قاسم الشريف..." [2].

– أورد ابن الأبار في كتابه: "المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي" ترجمة أبي القاسم بن ورد المري – نسبة إلى ألمرية الأندلسية – فكان مما ذكر فيها: "ورحل إلى سلجلماسة في سن ثلاث وتسعين وأربعمائة (493 هـ) أو نحوها؛ فسمع بها صحيح البخاري من أبي محمد ويكنى أيضاً أبا القاسم بكار بن نزهون بن الغرديس، وكان قد حج قديماً وسمع الكتاب من أبي ذر الهروي، وعمر طويلاً حتى انفرد بروايته، يقال إنه بلغ المائة أو أربى عليها، وبيته شهير بمدينة فاس، ونزل بسجلماسة" [3].

الحقيقة الثانية: أن الدولة المرابطية قد كانت أولوياتها العلمية على ترسيخ وتثبيت علم الفروع، ومن ثم الاهتمام بأهله ومن يشتغل به، ولا يمكن أن نقصي علم الحديث من الاتجاه العام للدولة ولكنه باهت إذا قيس بما يحظى به الفقهاء من منزلة لدى رجالاتها وأمرائها.

وبقيام الدولة الموحدية أصبح علم الدولة العلمي واتجاهها نحو ترسيخ الأخذ من الكتاب والسنة والعناية بالعلوم المتأصلة منهما، فأصبح الاشتغال بالحديث وعلومه عنوان مجالس الأمراء والأعيان، فانعقدت المجالس، ونشطت حلقات التدريس، وبالغ سلاطينها في إكرام أهل العلم.

---

(1) التكملة (2/ 577) .

(2) جذوة الاقتباس (1/ 283) الترجمة : 292 .

(3) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار (ص 24) .

وكان هذا شأن يوسف بن تاشفين يقول صاحب "المعجب" عنه: "فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحولُه حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم"[1].

– ومما يبرز المكانة العلمية لابن القطان الفاسي أن الحافظ الذهبي ينقل نقولاً كثيرة عنه ويرجح أقواله فيها؛ ومن ذلك:

اعتماد الذهبي على ابن القطان في تعيين وفيات طائفة من الرواة:

– ومما يدل على أن الذهبي كان يقر لابن القطان بمكانته في علم الرجال وأحوالهم ووفياتهم ما ذكره في تاريخ الإسلام، حيث ترجم لـ: "محمد بن إبراهيم بن المنذر، الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه، [المتوفى: 318 هـ]، ثم نقل عن أبي إسحاق الشيرازي: "أنه توفي سنة تسع أو عشر".

ثم قال: "وهذا ليس بشيء؛ فإن ابن عمار لقيه سنة ست عشرة، ووجدت ابن القطان نقل وفاته في هذه السنة[2] فليُعتمد"[3].

وهذا الذي نقل الذهبي عن ابن القطان، ذكره ابن القطان في كتابه "بيان الوهم والإيهام" حينما عقد بابا تحت عنوان "باب ذكر المصنفين الذين أخرج عنهم في كتابه ما أخرج: من حديث، أو تعليل، أو تجريح، أو تعديل" .

حيث ترجم ابن القطان لمن نقل عنهم عبد الحق الإشبيلي في كتابه "الأحكام الوسطى" من الأئمة الأعلام، ولما وصل إلى ترجمة الحافظ أبي بكر النيسابوري؛ قال في ذلك: "أبو بكر: محمد بن

---

(1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب المراكشي (ص 163) .

(2) أي 318هـ .

(3) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (7/ 344) ترجمة : 386 .

إبراهيم بن المنذر، النيسابوري، فقيه، محدث، ثقة، ولا يلتفت إلى كلام العقيلي فيه، وفاته سنة ثمان عشرة وثلاث مائة"[1].

– ولما ترجم الذهبي في تاريخ الإسلام لأبي جعفر العقيلي اعتمد في توثيق الرجل وتعيين وفاته على ابن القطان الفاسي، حيث قال الذهبي: "وقال أبو الحسن بن القطان: أبو جعفر مكي ثقة، جليل القدر، عالم بالحديث، مقدم في الحفظ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة"[2].

وهذا الذي نقله الذهبي عن ابن القطان هو بنصه مذكور في : "بيان الوهم والإيهام"، وهذا نصه منه: "أبو جعفر: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن مدرك، العقيلي، مكي، ثقة جليل القدر، عالم بالحديث، مقدم في الحفظ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة"[3].

وأختم هذه الوريقات بأن الذهبي الذي نبز ابن القطان بأنه أخذ علمه عن المطالعة هو نفسه الذي نص على عدد غير قليل من شيوخه، وقد استقرأت استقراءً أولياً[4]، فوجدت أن الذهبي ذكر في بعض كتبه شيوخ ابن القطان الآتي ذكرهم :

أبو جعفر بن يحيى[5]، وأبو الحسن الطليطلي[6]، وأبو الحسن بن النقرات؛ حيث قال: "وأكثر عنه أبو الحسن بن القطان"[7]، وأبو الصبر الفهري[8]، وأبو عبد الله بن البقار[9]، وأبو عبد الله بن

---

(1) بيان الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي (5/ 640) .

(2) تاريخ الإسلام (7/ 768) الترجمة رقم 106 .

(3) بيان الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي (5/ 641) الترجمة رقم 41 .

(4) هذا الاستقراء غير تام ؛ لأني ما شرعت في كتاب هذه الوريقات إلا قبيل الندوة بقليل .

(5) ذكره في تاريخ الإسلام (13/ 866) الترجمة : 471 .

(6) ذكره في تاريخ الإسلام (12/ 752) الترجمة رقم 66 .

(7) تاريخ الإسلام للذهبي (12/ 1003) الترجمة رقم 144 ، وكذلك ذكره ضمن شيوخ ابن القطان بن القاضي في جذوة الاقتباس (481/2) الترجمة : 542 .

(8) تاريخ الإسلام للذهبي (13/ 212) ترجمة 438 .

(9) تاريخ الإسلام بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف (12/ 925) الترجمة رقم : 437 .

الفخار، حيث قال: "سمع [أي ابن القطان] أبا عبد الله بن الفخار، فأكثر عنه"[1]، وأبو العباس بن الصيقل[2]، وأبو يحي بن صاف الأنصاري[3]، وأبو البقاء بن علي الأنصاري[4]، وأبو ذر الخُشَنِي، حيث نص على مشيخته لابن القطان في "تذكرة الحفاظ"[5] وفي "تاريخ الإسلام"[6]، وأبو موسى الغافقي[7]، وأبو الحسن الأنصاري[8].

ومن المعلوم أن شيوخ ابن القطان هؤلاء قد اختلفت مشاربهم وتنوعت معارفهم، فمنهم من برز في علم الحديث ومنهم من برز في القراءات ومنهم كان له قدم راسخة في علوم الآلة.

وحافظنا الذهبي لا يمكن أن ينكر مشيخة هؤلاء لأبي الحسن بن القطان .

لذلك الذي يترجح لي أن الإمام الذهبي قد أصدر هذا الحكم على هذا العلم مبكراً، ثم بعد ذلك اطلع على شيوخه، وإلا لم يكن ليحكم عليه بهذا اللمز ثم يذكر له شيوخاً، بل يشير إلى أن ابن القطان أكثر عن بعضهم.

وبهذا يكون الحافظ الذهبي نفسه يقر لهذا العلم بأخذه عن كبار علماء عصره.

ثم لو توقفنا قليلاً عند نقد الذهبي لابن القطان لوجدنا في ثنايا هذا النقد ما يشير إلى علو كعب ابن القطان؛ فهو: حافظ في الجملة، وله محاسن جمة، وواسع الاطلاع، متبحر في فنون الحديث، واسع المعرفة بأحوال الرجال، له يقظة وفطنة وسيلان ذهن، وهو واحد زمانه وفريد عصره في هذا العلم .

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي (4/ 1407) .
(2) تاريخ الإسلام (12/ 1131) ترجمة رقم 416 .
(3) تاريخ الإسلام (12/ 1189) الترجمة : 555 .
(4) تاريخ الإسلام للذهبي (13/ 827) ترجمة 382 . وينظر كذلك: جذوة الاقتباس (2/ 471) .
(5) تذكرة الحفاظ للذهبي (4/ 1407) .
(6) تاريخ الإسلام (13/ 866) ترجمة 471 .
(7) تاريخ الإسلام للذهبي (12/ 820) الترجمة 224 .
(8) تاريخ الإسلام (12/ 1150) الترجمة : 464 .

هذه العبارات ممن صدرت؟ صدرت من ذهبي الصيارفة والنقاد وإمامهم الحافظ الذهبي.

فرحمة الله عليهم أجمعين لذبهم عن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومنافحتهم عنها، وأجزل مثوبتهم ونضر الله وجوههم لخدمتهم لأحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام.

وختم تحريره عبيد ربه الفقير إلى رحمته: محمد الخرشافي مساء يوم السبت 17 ذي القعدة 1432هـ الموافق 15/ 10/ 2011م .